من أسباب ضعف المسلمين

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران
البريد الإلكتروني: almojtaba@alshira zi.com

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

سورة البقرة ١٥٦

تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ ارتحال المرجع الديني الأعلى **الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي** (قدس سره) ، حيث فجع العالم الإسلامي والحوزات العلمية بفقده، وهو في عز عطائه..

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل الرسول عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ اللهَ

لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ

صدق الله العلي العظيم

سورة الرعد: الآية ١١

كلمة الناشر

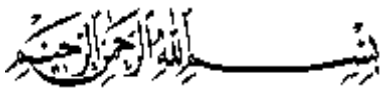

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1] بهذه الآية القرآنية الكريمة يعلن الله تبارك وتعالى لكل الناس ولجميع الأجيال إلى يوم القيامة: بان الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام فقط. ويؤكد تعالى هذا المعنى بقوله سبحانه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2].

ثم أرسل الله تعالى بهذا الدين خاتم أنبيائه وسيد رسله وأشرف بريته، وأكرمهم عليه من خلقه محمد بن عبد الله ﷺ وقال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾[3].

فالمراحل التي تشير إليها هذه الآيات المباركات هي عبارة عن ثلاث مراحل:

١: مرحلة الإنشاء والتقنين، أي: إن الله تبارك وتعالى انشأ دين الإسلام وقنن أحكامه، ثم اختاره من بين الأديان.

٢: مرحلة الإيصال والتبليغ، أي: إن الله عزوجل أوصل عبر رسوله ﷺ الإسلام إلى الناس، وبلّغ أحكامه إليهم.

٣: مرحلة العمل والتنفيذ، أي: إن الله سبحانه وتعالى بعد ما قنّن الإسلام وأوصله إلى الناس، أراد منهم اعتناقه وتطبيق أحكامه، ورغّبهم في ذلك واصفاً له بأنه الهدى ودين الحق، وتوعّدهم على مخالفته: بأنهم يخسروا دنياهم وآخرتهم.

وتتلخص هذه المراحل الثلاث في معنى واحد هو: ان الله تبارك وتعالى أراد ظهور الإسلام وغلبته، وانتشاره وكونيته، وأراد للمسلمين السعادة والسيادة، والسؤدد والقوة.

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) سورة آل عمران: ٨٥.

(٣) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

والحكيم إذا أراد شيئاً حفّه بمستلزماته، ووفّر له مقوماته، حتى يتحقق الشيء المراد، والله تبارك وتعالى الحكيم، أراد ـ بحسب الآيات الكريمة ـ للإسلام الظهور، وللمسلمين القوة، فما الذي أعده من المستلزمات والمقومات لهذا الهدف يعني: ظهور الإسلام وقوة المسلمين؟

القرآن الكريم هو الذي يدلنا على مستلزمات ظهور الإسلام، ومقومات قوة المسلمين، وذلك عندما استخلف النبي ﷺ وبأمر من الله تعالى علياً عليه السلام يوم غدير خم، وجعل الخلافة باقية في عقبه إلى يوم القيامة، نطق مصرّحاً: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (٤).

وهذه هي المرحلة الرابعة بعد تلك المراحل الثلاث، أي: بعدما قنّن الله تعالى الإسلام، وبلّغه إلى الناس، وأمرهم باعتناقه، شرّع الخلافة والإمامة لأهل بيت رسوله عليهم السلام: علي أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الأحد عشر المعصومين عليهم السلام.

ويوم استخلف النبي ﷺ علياً عليه السلام وأخذ من الناس البيعة له، ارتضى الله تبارك وتعالى الإسلام ديناً للناس فأنزل قائلاً: ﴿اليوم.. رضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ومعناه: الإسلام بلا وجود من رسول الله ﷺ أو خلافة أحد من أهل بيته عليهم السلام غير مرضي عند الله، لأنه يفقد مستلزمات ظهور الإسلام، ومقومات قوة المسلمين.

وخلاصة المرحلة الرابعة وموجز معناها هو: إن الذي سيخلف رسول الإسلام، ويجلس مكانه، ليكون الحافظ للإسلام، والحاكم على المسلمين، له الدور الكبير، والأثر العظيم في ظهور الإسلام وضموره، وقوة المسلمين وضعفهم.

فان كان الذي يخلف رسول الإسلام ويجلس مكانه هو الذي نصبه الرسول ونص عليه بأمر من الله، ظهر الإسلام، وقوى المسلمون، وان كان غيره ضمر الإسلام، وضعف المسلمون.

وهذا المعنى هو ما أثبته التاريخ طوال الأربعة عشر قرناً الماضية، وحققته التجارب طيلة حياة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، وذلك انه بعدما رقى منبر الرسول ﷺ غير الذي استخلفه الله والرسول، وأقصي أهل البيت عليهم السلام عن مكان رسول الله ﷺ ومنبره، وتعقبهم

(٤) سورة المائدة: ٣.

حكام السوء، من أمثال بني أمية وبني مروان، وبني العباس وبني عثمان، في المسلمين، رأينا كيف ضمر الإسلام ولم يظهر على الدين كله؛ وكيف ضعف المسلمون وخاصة في هذا اليوم، ولم يغلبوا الأرض كلها؟

وهذا الكتاب هو محاولة من المؤلف سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الإمام الشيرازي (قدس سره الشريف) لبيان أن الإسلام هو دين الله القويم الذي ليس فيه زيغ ولا ضعف، وانه هو آخر صيغة السماء لسعادة أهل الأرض وسيادتهم، وان الذي سبّب ضموره، وكان من وراء ضعف المسلمين، هم الحكام غير الكفوئين، والحكام الطغاة الإرهابيون.

وهو في نفس الوقت الذي يلفت أنظار العالم إلى متانة الإسلام وحكمته، وانه الدين الوحيد القادر على تلبية أمنيات الإنسان وآماله، وتحقيق طموحه ومآربه، وتضمين سعادته في الدارين، وانه الدين الذي ينبغي للجميع إذا أرادوا السعادة والرفاه، والأمن والسلام، والخير والبركة، أن يعتنقوه ويطبقوا أحكامه.

فإنه في نفس الوقت الذي يلفت الأنظار إلى رقي أحكام الإسلام وتعاليمه، يحذّر المسلمين بل العالم كله من الحكام الظالمين الطغاة، ويحرض على التخلص من شرهم وشنارهم، وكيدهم وضلالهم، ويرى الحل في زمان غيبة الإمام المعصوم للحكم: هو شورى المراجع.

ونحن مساهمة منا في نشر هذا الفكر، وإزالة ما يدور في الأذهان حول الإسلام بما سببه له الحكام الطغاة، والسعي على تهذيب البلاد وإنقاذ العباد من هؤلاء الحكام، قمنا بطبع هذا الكتاب ونشره، علماً بأنا كنا مشتغلين بإعداد الكتاب للطبع، إذ وافنا الخبر المؤسف، والنبأ المفجع، نبأ ارتحال المؤلف القدير العالم الرباني الذي كتب للجميع، سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (قدس سره) النبأ الذي هز أركاننا من الأعماق، وأصاب المسلمين وأفجعهم، بل العالمين، بل الكون كله، حيث أن الشمس كانت قد انكسفت يوم الحادث، وشوهد الكسوف في بعض البلاد..

نسأل الله للفقيد الراحل رضوانه وفسيح جناته، ولذويه الثواب والأجر، والصبر والسلوان، وان يجبر ما فقدناه بخلفه البرّ، وأخيه الوفي، الفقيه المحقق سماحة آية الله العظمى

الحاج السيد صادق الشيرازي (دام ظله الوارف) انه ولي التوفيق وهو خير معين.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص.ب: ٦٠٨٠ / ١٣

المقدمة

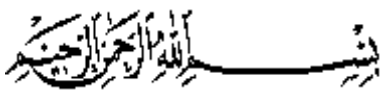

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد، فقد رأى العالم كيف تموت المبادئ غير الصحيحة والتي تخالف فطرة الإنسان، فلم تنتشر إلا في ظروف خاصة يحكمها الجهل حتى إذا ما وعت الشعوب ولو بعد مضي سنوات أو قرون نبذوها وراء ظهورهم.

كما رأى العالم كيف أن الغرب المسيحي رفض المسيحية واستبدلها بالعلمانية والمادية، وذلك لأن الإنجيل المحرف لا يملك من القدرة والشمولية ما يستوعب الحياة في كافة مراحلها، حيث لم يبق منه سوى بعض الوصايا وقد بدلوها أيضاً ولم يعملوا بها، فقد روي عن السيد المسيح العظيم (على نبينا وآله وعليه السلام) أنه قال لبعض أصحابه: «ما لا تحب أن يفعل بك فلا تفعله بأحد، وإن لطم أحد خدك الأيمن فأعطه الأيسر»[٥].

ولكنهم صيروها إلى قنابل وصواريخ وحربين عالميتين وحروب لا تعد ولا تحصى في بلاد المسيحية وغيرها التي يقودها العالم الغربي، إلى ألف شيء وشيء.

كما رأينا ولادة الشيوعية قبل سبعين سنة وسقوطها ولما تكمل ثمانية عقود، لأنها لا تزيد عن أمر خيالي، والخيال لا يلائم الحياة وان قتل ستالين[٦] لتثبيتها خمسة وعشرين مليوناً،

---

(٥) بحار الأنوار: ج١٤ ص٢٨٧ ب٢١ ح١٠.

(٦) جوزيف ستالين (١٨٧٩/١٩٥٣م): سياسي روسي ترأس الحزب الشيوعي (١٩٢٢م) خلف لينين في زعامة الحزب والدولة قضى على مناوئيه في محاكمات صورية واستبد بالسلطة.

وقتل ماو[٧] لتطبيقها أربعين مليوناً، لكن الإسلام هو الدين الوحيد الذي بقي منذ خمسة عشر قرناً يواكب الحياة في كافة مراحل تطورها بالرغم من قسوة الحكام المتسلطين وأعداء الدين وسيبقى إلى يوم القيامة لأنه دين الفطرة كما قال سبحانه: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾[٨] لكنه مع ذلك قد ضعف نسبياً بسبب من تسلط على المسلمين ممن ادعوا أنهم خلفاء أو أمراء أو ما أشبه من مختلف ألقابهم، ولولا ان الله سبحانه أراد بقاء الإسلام كما قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[٩] وقال عزوجل: ﴿ليظهره على الدين كله﴾[١٠] لم يبق منه حتى الاسم.

وهذا الكتاب وضعناه للإشارة إلى بعض أسباب ضعف المسلمين، وبيان قصص بعض الحكام الذين كانوا من أشد أسباب توقف زحف الإسلام، وتحجيم نفوذه في الضمائر والقلوب، وكسبه للمشاعر والعقول، وجعله خبر (كان) لولا عناية الله سبحانه وتعالى بهذا الدين الحنيف الذي شرعه سبحانه على الفطرة التي فطر الناس عليها، ومن هذه الجهة فالأمل أن يعود الإسلام من جديد إلى الحياة عوداً كاملاً أمل كبير وصادق، وقوي وقريب، وذلك:

١و٢: بأمته الواحدة وبدون حدود جغرافية، كما قال سبحانه: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[١١].

٣: وبأخوته المتينة، كما قال سبحانه: ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾[١٢]، بل بما يراه الإسلام من أخوة المسلم مع المسلم، وغير المسلم أيضاً ولذا قال سبحانه: ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾[١٣] وقال: ﴿وإخوان لوط﴾[١٤] وقال: ﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾[١٥].

---

(٧) ماو تسي تونغ (١٨٩٣-١٩٧٦م): زعيم ومنظر سياسي صيني، قاد المسيرة الطويلة بين (١٩٣٤ و١٩٣٥م) انتصر على قوات شيانغ كامي شيك وأسس جمهورية الصين الشعبية.

(٨) سورة الروم: ٣٠.

(٩) سورة الحجر: ٩.

(١٠) سورة التوبة: ٣٣، سورة الفتح: ٢٨، سورة الصف: ٩.

(١١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(١٢) سورة الحجرات: ١٠.

(١٣) سورة الأعراف: ٦٥، سورة هود: ٥٠.

(١٤) سورة ق: ١٣.

(١٥) سورة الأعراف: ٧٣، سورة هود٦١.

٤: وبحرياته الواسعة الشاملة للتعددية والأحزاب الحرة وغيرها من الحريات الكثيرة بحيث لا يستثنى منها إلا المحرمات، والمحرمات هي معدودة جداً كما قال سبحانه: ﴿يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾[١٦].

٥: وبالشورى في كل شأن من شؤون الحياة ومع كل الأطراف والجهات، من الذي يعيش في القرية إلى الذي يعيش في العاصمة، ومن صاحب المعمل الصغير إلى المصنع الكبير، ومن إدارة البيت والأسرة إلى إدارة دولة وأمة، والتي في قمتها شورى الفقهاء المراجع كما قال سبحانه: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[١٧].

٦: وبصلحه وسلامه العام حتى بالنسبة إلى السلاح، فان في نظر الإسلام: لا يستعمل السلاح إلا لرد الاعتداء، من حكومة أو جماعة أو فرد، كالقاتل والسارق حيث قال سبحانه: ﴿ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾[١٨] مما هو ظاهر في أن من لم يدخل في السلم يكون متبعاً لخطوات الشيطان.

٧: وبإباحته كل أوّليات الحياة لجميع الناس في إطار ﴿لكم﴾ قال سبحانه: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾[١٩] والتي منها أن الأرض مباحة لكل من يعمرها كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «من أحيى أرضاً ميتةً فهي له»[٢٠] وأن من حق الإنسان أن يستفيد من مختلف المباحاة الأصلية من معدن أو بحر، أو غابة أو صيد أو غير ذلك، كما قال صلى الله عليه وآله: «من سبق إلى من ما لا يسبقه إليه المسلم فهو أحق به»[٢١] وإلى غير ذلك من القوانين الإسلامية السهلة السمحة، وذلك لكي تنعم البشرية كلها مسلمها وغير مسلمها، وتفوز بكل خير وسعادة، ورفاه وسلام، وما ذلك على الله بعزيز.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

---

(١٦) سورة الأعراف: ١٥٧.

(١٧) سورة الشورى: ٣٨.

(١٨) سورة البقرة: ٢٠٨.

(١٩) سورة البقرة: ٢٩.

(٢٠) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٢٠٩٠٢.

(٢١) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص١١١ ب١ ح٢٠٩٠٥.

الحكام الطغاة وراء ضعف المسلمين

إن ما نشاهده اليوم من حالة ضعف المسلمين هو نتيجة أمور عديدة، من أهمها ما سببه الحكام الطغاة، غير الشرعيين، على مر التاريخ من الأوائل والأواسط والأواخر، فإنهم من وراء حالة ضعف المسلمين التي نشاهده ونلمس آثاره حتى اليوم، فان الضعف السابق والوسط واللاحق يسبب ضعف المستقبل أيضاً كما هو في صحة الإنسان فان الإنسان الذي لا يراعي صحته في صغره لابد وأن يكون في كبره معرضاً للآفات والأسقام وما أشبه وهناك العديد من القصص التاريخية التي تدل على ما ذكر.

ترك أسباب التقدم

لقد تقدم الغرب علينا عندما أخذوا بالعمل ببعض قوانين الإسلام، مثل حق الانتخاب والتصويت، وخلع الحكام الطغاة المستبدين، ومطالبة الحقوق والحريات، ومثل النظم في الأمور، والاتقان في العمل، وما أشبه ذلك، وقد أعلنت إذاعاتهم عن وصول علمائهم إلى الكواكب الأخرى، وأنهم نزلوا من المركبة الكذائية ووطئوا أرض القمر أو ما أشبه ذلك بكل دقة وإتقان، كما أذاعوا وكتبوا في الجرائد والمجلات أنه كان من المقرر أن يصلوا إلى القمر في الساعة الخامسة مثلاً، لكنه تم ذلك في الساعة الخامسة وثلاثين ثانية، ويعتذرون من هذا التأخير!.

نعم ثلاثون ثانية، لا ثلاثون دقيقة، وهذا من مصاديق الدقة والإتقان، وأعلنوا أن السبب هو تغيير مكان النزول، حيث كان المقرر النزول في مكان معين من سطح القمر، ثم تبين أن المكان لم يكن صالحا لذلك، فهذه علة التأخير.

ويقال: إن القمر الصناعي الذي استخدموه متكون من ثلاثة ملايين جزء، وقد ساهم في إنجاز المشروع ثلاثمائة ألف عالم وخبير، وهو غير بعيد، لأن كل جزء منه يجرب عشرات المرات.

ونحن المسلمين . وكذلك حكامنا . قد تغيرنا بحيث لم نعر أية أهمية للإنسان الذي فضله الله وكرّمه، وحرم ماله وعرضه ودمه، ولذلك ترى الحكام الطغاة يقتلون الناس كما يقتلون البق.

كما انا لا نرى أهمية للوقت، فمثلاً ترى الصديق يواعد صديقه قائلا: سآتيك في الساعة الخامسة مثلاً، وينتظره الصديق في الساعة الخامسة، فلم يحضر!

وتتقدم الساعة لتشير إلى الخامسة وعشرة دقائق، ومن ثم الخامسة والربع، والخامسة والنصف، والخامسة وثلاثة أرباع، ثم السادسة أو أكثر، وإذا به يأتي وكأنه قد حضر قبل الموعد، فلما تسأله: لماذا تأخرت عني؟ يضحك ويقول وبكل بساطة: نعم انشغلت قليلاً ولم أتأخر كثيراً.

أهدر ساعة من وقت صديقه وكأن هذه الساعة عنده لا شيء، أما الذين وصلوا إلى القمر فيحسبون للثلاثين ثانية من التأخير حسابها.

تقدم الأمة وتأخرها

من سنن الله في هذا الكون انه لا تتقدم أمة إلا بسبب، ولاتتأخر أمة إلا بسبب أيضاً، وهذا من الواضح والثابت بالتجربة والامتحان، لكن الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ذكر في كتابه عن رجل مستشرق مسيحي اسمه (ريبور) انه قال: إني أتعجب من تقدم المسلمين الأوائل، فهل أن الكرة الأرضية صغرت حتى قبضها المسلمون الأولون، أو أن الكرة الأرضية صارت كورق فطووها طيا؟ كيف إنهم تقدموا في الحياة وسيطروا على الكون؟

أقول: لا الكرة الأرضية صغرت، ولا انها طويت كالصفحة، وإنما كان سبب ذلك هو: قوة إيمان المسلمين الأوائل وثبات عزمهم، وصدق نيتهم، وإخلاص عملهم، ومواصلة جدهم، وتفانيهم لله، وتوكلهم على الله، وامتثالهم لأوامر الله ورسولهﷺ، وهذا هو السبب الذي جعل الكرة الأرضية في أيديهم..

وهذه الأشياء هي التي فقدها المسلمون في هذا اليوم.

نعم إن المسلمين اليوم يصلّون ويصومون، ويزكون ويحجون، ولكنهم تركوا الكثير من القوانين الإسلامية.

مضافاً إلى إنه هل إن الكل يصلي ويصوم، ويزكي ويحج؟

وهل في بلادنا لا توجد محرمات ومنكرات؟

وهل نملك نحن المسلمين اليوم تلك العزيمة اللازمة، والفكر الكافي، والوعي الإسلامي، والإيمان الثابت، والجهاد الصادق، وبذل كل الطاقات في سبيل الله كالذي كان عليه المسلمون الأوائل، وبحسب الذي يريده الإسلام منا، أم أن الإسلام شيء ونحن المسلمين شيء آخر؟

ولعل هذا هو من أهم علل تقدم المسلمين في صدر الإسلام وتأخرنا نحن في هذا اليوم.

إسلام عبد الله بن جحش

جاء في التاريخ أن شابا في عمر يقارب العشرين سنة، ويدعى: عبد الله بن جحش، اقبل إلى رسول اللهﷺ وآمن به وذلك في مكة المكرمة، وحيث إن أهل مكة كانوا ضد الإسلام ويحاربون المسلمين، كان إسلام هذا الشاب أكبر جهاد حينذاك، وأعظم فخر في هذا اليوم، إذ في هذا اليوم الذي انفتحت فيه الأجواء ببركة الإسلام وذهبت عصبيات الجاهلية يتلقى الشاب الداخل في الإسلام الترحيب والتقدير، والإجلال والاحترام، فلا يكون جهاده وفخره بمثل ذلك اليوم وإن كان فيه الثواب العظيم، والأجر الجزيل.

نعم، في ذلك اليوم وكل أهل مكة مشركون ويتربصون برسول اللهﷺ وبمن آمن معه الدوائر، جاء هذا الشاب وهو في العشرين من العمر وأعلن إسلامه.

رحب به رسول اللهﷺ وقال له: إنك قد عرفت فضيلة الإسلام وصرت مسلماً، ولكن عليك أن تدعو أهلك إلى الإسلام.

فجاء عبد الله إلى البيت وأخذ يدعو أفراد أسرته كلهم إلى الإسلام، وكان يقرأ عليهم من آيات القرآن الكريم، ويذكر لهم أحاديث رسول اللهﷺ ، مرة بعد مرة، حتى هداهم جميعاً إلى الإسلام.

كل هذا في الوقت الذي كان يلاقي المسلم الذي يتشهد بالشهادتين، ويعمل بقوانين الإسلام، أكبر الضغوط النفسية والجسدية من قبل المشركين، من الشتم والضرب، والتعذيب والإهانة، ومع كل ذلك كانوا يتحملون المشاق في سبيل الله عزوجل.

ولكن اليوم، عندما نقول لبعض الشباب من أصدقائنا: خذوا بأيدي نظرائكم من الشباب وأتوا بهم إلى المساجد والحسينيات، والمواكب والمجالس الدينية، يقولون: انهم لا يأتون، ومعناه: انا تركنا شبابنا للشبهات والبدع تقودهم للغواية والضلالة، وللأهواء والشياطين يسوقونهم إلى المزالق والمهاوي، وإلى الشقاء والهلاك، وإلى خسران الدنيا وعذاب الآخرة.

إن علينا أن نعمل لكي تستوعب هذه المجالس المباركة، والهيئات الدينية، والحسينيات والمساجد هؤلاء الشباب الطيبين بأكبر عدد ممكن، إذ فيها يحصل الشاب على سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

أجل، لقد كان الشاب المسلم في زمن رسول الله ﷺ يفعل ما يبدو انه مستحيل، ولكنا نقول: انه لا يمكن أن نأتي بالشباب، أو انهم لا يأتون.

هل تكلمنا معهم وأرشدناهم بالتي هي أحسن، حتى نعرف انهم يأتون إلى المجالس أو لا يأتون؟

هل قلنا للبنات المؤمنات اللاتي يحضرن المجالس الدينية: خذوا بأيدي البنات الآخريات إلى هذه المجالس من جاراتكن وقريباتكن وصديقاتكن، فلم يفعلن؟

هل دعوناهم بالطريقة المناسبة للحضور في المجالس الحسينية، فلم يستجيبوا الدعوة؟

إن هذه الهيئات والمجالس، والمساجد والحسينيات، مضافاً إلى اشتمالها على الثواب العظيم، وتقوية إيمان الإنسان وترسيخه، توجب تقدمه في العلم والعمل، وفي كل المجالات: الاجتماعية وغيرها، وحتى في ما يرتبط بالصناعة والاقتصاد، لأنها تنشر ثقافة الدين الإسلامي، وهي تحث الإنسان على جميع أنواع الخير، وتردعه عن جميع أنواع الشر.

المشركون يضطهدون المسلمين

إن النظام الحاكم في مكة زمن الجاهلية كان أرستقراطيا، يحكم فيه أمثال أبي جهل وأبي لهب وصفوان وغيرهم من العتاة المشركين، وكان الشعب يعبد الأصنام، فكان الجميع حكومة وشعباً ضد المسلمين، ومن هنا لاقى المسلمون أشد الاضطهاد في مكة المكرمة، فكانوا إذا جاءوا إلى المجتمع لم يُحترموا، بل يهانوا، وإذا أرادوا شراء شيء لا يباع لهم، وإذا أرادوا بيع

شيء لا يشترى منهم، وإذا كان لهم ولد يريد أن يتزوج منهم لم يزوجوه، وإذا كانت لهم بنت لا يتزوّجونها، وإلى غيرها مما سجله التاريخ وذكره في صفحاته بشكل قصص عن حياة رسول اللهﷺ وأصحابه واضطهاد المشركين لهم.

وبعد سنوات من تحمل هذه المضايقات والضغوطات مع العلم بان ذلك صعب جداً، فإنه قد يؤخذ الشخص الى السجن ويحكم عليه بأن يلبث فيها سنة مثلاً أو أكثر، فإنه كثيراً ما يتحمله الشخص، اما انه إذا دخل الشخص في مجلس وتلقى منهم السبّ والضرب، فهذا أصعب بكثير من السجن، وكذلك إذا جاء الإنسان إلى الناس فأعرضوا بوجوههم عنه، وهذا ما لا يتحمله الكثير من الناس.

وكيف كان: فقد جاء المسلمون ومنهم عبد الله بن جحش وبعد كل تلك المعاناة إلى رسول اللهﷺ وشكوا إليه ما يلاقونه من أهل مكة المشركين، وطلبوا منه أن يشير عليهم بطريق فيه الخلاص والنجاة.

فقال لهم رسول اللهﷺ: «فرّوا بدينكم إلى الحبشة»، وكان ملك الحبشة بحيث يجيز لهم أن يمارسوا شعائر دينهم.

عزم المسلمون على الخروج إلى الحبشة، وكان اللازم أن يخرجوا من مكة خفية، وذلك لأن المشركين إذا عرفوا منهم ذلك، منعوهم وربما قتلوهم، فجاءوا ليلاً إلى البحر وركبوا سفينة لا ترتبط بأهل مكة وفرّوا بدينهم إلى الحبشة، وكان النجاشي ملك الحبشة رجلاً طيب النفس، سليم القلب، فاستقبلهم وأسلم بسبب هؤلاء المهاجرين وأسلم معه جماعة، حتى أسلمت الحبشة من ذلك اليوم، ولكن اليوم وبعد أربعة عشر قرنا نرى أن الحبشة بيد الكفار وإن كان غالب أهلها من المسلمين.

ثم إن النجاشي أقطع المسلمين المهاجرين أرضا لكي يزرعوها ويرتزقوا منها.

ثم إن عبد الله بن جحش كان من المهاجرين إلى الحبشة أيضاً، فقد فر هو وثلاثة من إخوانه إلى أرض الحبشة، فقبلهم الملك كلاجئين سياسيين ـ في اصطلاح هذا اليوم ـ .

ولقد جاء في التاريخ أن هؤلاء المهاجرين أخذوا يعملون هناك في أرض المهجر بكل جهد وتواضع، في الحر والبرد، حتى خلِقت ثيابهم وتخرّقت مما اضطروا إلى ترقيعها، بحيث كانوا يستحيون من الناس أن يظهروا بثيابهم تلك، ونحن اليوم متنعمون والحمد لله بالثياب الناعمة، والملابس الجميلة، وهذا كله ببركة ما قدمه المسلمون الأوائل من الجهاد في سبيل الله

والتضحية من أجل دينه، إذ لم يكن لهم أكل بمقدار الشبع، ولم يكن لهم ملبس بقدر التجمل، فتحملوا ذلك، وتحملوا الغربة، ولكن حيث إنهم كانوا قد تحلوا بإيمان راسخ صمدوا في أرض الحبشة عدة سنوات.

الهجرة الثانية

ثم انه لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وسمعوا بأن الوضع قد تحسّن، وان رسول الله ﷺ قد أسّس أول دولة إسلامية هناك، وصار المسلمون في أمن ورفاه نسبي ببركة التعاليم الإسلامية، غادروا بلاد الحبشة قاصدين المدينة المنورة، وكان من بين أولئك المغادرين للحبشة باتجاه المدينة المنورة عبد الله بن جحش وإخوانه الثلاثة، فوصلوا مدينة رسول الله ﷺ واستقبلهم المسلمون ورأوا في وجوهم آثار الحر والتعب، ثم التحقت بهم عوائلهم الذين كانوا قد بقوا في مكة ولم يتمكنوا من الهجرة إلى الحبشة.

الخديعة والمكر عند بني أمية

من صفات الطغاة الخديعة والمكر، كما يشاهد ذلك في حكومة بني أمية حيث ابتدأت دولتهم في بادئ أمرها بالخديعة والمكر وشراء الضمائر بالدنانير والدراهم ثم أحكمت سيطرتها بالقوة والسيف، فعندما أخذ معاوية البيعة ليزيد قام أحد الخطباء وقال: إن هلك هذا (أشار إلى معاوية) فهذا (وأشار إلى يزيد) ومن أبى فهذا (وأشار إلى سيفه).

ودام عهد الإرهاب والتعسف إلى نهاية أيام هشام بن عبد الملك وبعدها دب الاضطراب والتفكك في أنحاء الدولة بسبب مجون الخليفة واستياء الناس من بني أمية وأفعالهم إلى أن آل الأمر إلى هلاك الخليفة وسقوط الدولة في سنة ١٣٢هـ.

وقد شهدت دولتهم حروب وثورات عديدة من أشهرها:

١: حربهم مع سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء، واستشهاده عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه بها، وأسر عياله وبناته: بنات رسول الله ﷺ فيها.

٢: ثورة أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة.

٣: ثورة أهل مكة بقيادة عبد الله بن الزبير.

٤: ثورة أهل العراق بقيادة المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

٥: ثورة أهل العراق بقيادة مصعب بن الزبير.

٦: ثورة أهل الكوفة بقيادة مصعب بن الزبير أيضاً.

٧: ثورة أهل الكوفة بقيادة زيد بن علي عليه السلام.

٨: وثورة أهل العراق بقيادة بني المهلب بن أبي صفرة.

ثورات أخرى للخوارج.

وذهب ضحية هذه الثورات آلاف القتلى والجرحى، وأحرقت المدن الآهلة بالسكان.

كما إنه ضاع خلال العهد الأموي كثير من التراث النبوي الشريف بتعريض الرواة للقتل والتشريد، والكبت والاضطهاد، وإدخال التحريف والدس في الأحاديث النبوية الشريفة.

بنو أمية ومظالم العباد

ومن صفات الطغاة التلاعب بأموال الناس وثرواتهم، ونشر المجون والفساد بينهم.

وقد استأثر بنو أمية ـ بشهادة التاريخ ـ خلال سنوات حكمهم بأموال الناس المجتمعة في بيت المال، وبالمناصب الرئيسية والمهمة في البلاد.

ويعتبر بنو أمية أول من بث العصبية في الإسلام، وفرّق بين العرب والموالي، وبين العشائر وغيرها على نطاق الدولة.

وأول من سن الملاهي والمناهي، والغناء والشراب في الإسلام.

وأول من كان يهب من بيت المال الأموال الطائلة للمغنين والمخنثين، والمتملقين والندماء.

وأول من قاتل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل خيارهم مثل عمار بن ياسر كما قتل حجر بن عدي وغيرهما.

وقد قتل بنو أمية في أيامهم الآلاف من الأبرياء والآمنين، والصلحاء والمصلحين، وفي مقدمتهم: الإمامان الهمامان، سيدا شباب أهل الجنة، الحسن والحسين عليهما السلام وعشرين رجلاً من أهل بيت النبوة ما على وجه الأرض لهم من شبيه، وقتل بعدهم زيد بن علي ابن الحسين عليه السلام وغيرهم، وبلغ بهم الأمر أن كانوا يختمون في أعناق الصحابة والتابعين على انهم عبيد

وخول للخليفة كما تختم الحيوانات، وجعلوا الخليفة أعلى منزلة من رسول الله ﷺ.

تصريح هام لمعاوية

ومن صفات الطغاة عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر.

روى الزبير بن بكار في الموفقيات وهو من المنحرفين عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي على معاوية وكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً.

فانتظرته ساعة وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟

فقال: يا بُني، جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم.

قلت: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سناً يا أمير فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم شيء تخافه، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه.

فقال: هيهات، هيهات، أيّ ذكر أرجو بقاءه؟ مَلَكَ أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات: «اشهد أن محمداً رسول الله» فأي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا؟ لا أبالك! لا والله إلا دفناً دفناً [٢٢].

(٢٢) شرح نهج البلاغة: ج٥ ص١٢٩ أخبار متفرقة عن معاوية.

لا شرعية لحكومة الظالمين

ومن صفات الطغاة أنهم يسعون لإعطاء صبغة شرعية لحكومتهم الجائرة، وذلك بشتى الوسائل وكل الطرق، ومنها: جعل أحاديث تؤكد على لزوم طاعتهم العمياء وحرمة معارضتهم، وكذلك فعل معاوية، وحث الوضّاعين وشجعهم بإغداق الأموال عليهم مقابل ذلك.

فقد أخرجوا : (اسمعوا وأطيعوا وأن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة).

و: (عليك بالطاعة من منشطك ومكرمك..)

و: (أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لعبد مجدع الأطراف).

و: (إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار).

هذا، مع أن الله تعالى يحذّر من إتباع الظالمين ويحرّم طاعتهم، بل قد صرحت آيات القرآن الكريم بلزوم التصدي للظلم وعدم جواز الركون إلى الظلمة.

قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾(٢٣).

وقال سبحانه: ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾(٢٤).

وقال تعالى: ﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾(٢٥).

وقال سبحانه: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون ۞ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله أنه لا يحب الظالمين ۞ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل۞ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾(٢٦).

وقال تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾(٢٧).

---

(٢٣) سورة هود: ١١٣.

(٢٤) سورة الطلاق: ١.

(٢٥) سورة الإسراء: ٣٣.

(٢٦) سورة الشورى: ٤٢.٣٩.

(٢٧) سورة البقرة: ١٩٤.

مضافاً إلى ما اشتهر عن رسول الله ﷺ من قوله في معاوية: «إذا رأيتم معاوية على منبري، فابقروا بطنه»[٢٨] وغير ذلك مما يدل على عدم شرعية حكومة بني أمية وانه يجب على المسلمين منابذتهم وقتلهم، والتخلص منهم ومن شرهم.

الشجرة الملعونة في القرآن

تسلط بنو أمية على الحكم بعد أن حارب معاوية ظلماً وعدواناً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأغار على بلاده الآمنة وقتل الناس الآمنين، ثم قاتل سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسن عليه السلام وذلك في قصة معروفة، فملكوا رقاب الناس نيفاً وثمانين عاماً حكم خلالها أربعة عشر حاكماً منهم، وكان قد أخبر رسول الله ﷺ بذلك عندما رآهم في منامه ينزون على منبره كالقردة، فاغتم كثيراً لذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾[٢٩].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام يصف بني أمية في خطبة له: «وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب[٣٠] الضروس[٣١] تعذم[٣٢] بفيها وتخبط بيدها وتزبن[٣٣] برجلها وتمنع درها[٣٤]، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء[٣٥] مخشية[٣٦]، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم[٣٧] يرى»[٣٨].

---

(٢٨) حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٢ ص٢٥٧.

(٢٩) سورة الإسراء: ٦٠.

(٣٠) الناب: الناقة المسنة.

(٣١) الضروس: الناقة سيئة الخلق تعض حالبها.

(٣٢) تعذم: من عذم الفرس: إذا أكل بجفاء أو عض.

(٣٣) تزبن: تضرب.

(٣٤) درها: لبنها، والمراد خيرها.

(٣٥) شوهاء: قبيحة المنظر.

(٣٦) مخشية: مخوفة مرعبة.

(٣٧) عَلَم: دليل يهتدى به.

(٣٨) نهج البلاغة: الخطبة ٩٣.

معاوية وأعماله الإرهابية

في التاريخ: إن معاوية دعا بسر بن أرطاة وكان فظاً غليظاً قاسي القلب، سفاكا للدماء، لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لاتنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يُر أنهم لا نجاء لهم وأنك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبى فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا.

وروى إبراهيم بن هلال الثقفي في كتاب الغارات عن يزيد بن جابر الأزدي قال: سمعت عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري يحدث في خلافة عبد الملك قال: لما دخلت سنة أربعين تحدث الناس بالشام أن عليا عليه السلام يستنفر الناس بالعراق فلا ينفرون معه، وتذاكروا أن قد اختلفت أهواؤهم ووقعت الفرقة بينهم، قال: فقمت في نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عقبة فقلنا له: إن الناس لا يشكون في اختلاف الناس على علي عليه السلام بالعراق فادخل إلى صاحبك فمره فليسر بنا إليهم، قبل أن يجتمعوا بعد تفرقهم، أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره.

فقال: بلى لقد قاولته في ذلك وراجعته وعاتبته، حتى لقد برم بي واستثقل طلعتي، وايم الله على ذلك ما أدع أن أبلغه ما مشيتم إلي فيه.

فدخل عليه فخبره بمجيئنا إليه ومقالتنا له، فأذن لنا فدخلنا عليه فقال: ما هذا الخبر الذي جاءني به عنكم الوليد؟

فقلنا: هذا خبر في الناس سائر، فشمِّر للحرب، وناهض الأعداء، واهتبل الفرصة، واغتنم الغرة، فإنك لا تدري متى تقدر على عدوك على مثل حالهم التي هم عليها، وأن تسير إلى عدوك أعز لك من أن يسيروا إليك، واعلم والله أنه لو لا تفرق الناس عن صاحبك لقد نهض إليك.

فقال لنا: ما أستغني عن رأيكم ومشورتكم، ومتى أحتج إلى ذلك منكم أدعكم إن هؤلاء الذين تذكرون تفرقهم على صاحبهم واختلاف أهوائهم، لم يبلغ ذلك عندي بهم أن

أكون أطمع في استئصالهم واجتياحهم، وأن أسير إليهم مخاطرا بجندي لا أدري علي تكون الدائرة أم لي، فإياكم واستبطائي فإني آخذ بهم في وجه هو أرفق بكم، وأبلغ في هلكتهم، قد شننت عليهم الغارات من كل جانب، فخيلي مرة بالجزيرة ومرة بالحجاز وقد فتح الله فيما بين ذلك مصر، فأعز بفتحها ولينا، وأذل به عدونا، فأشراف أهل العراق لما يرون من حسن صنيع الله لنا يأتوننا على قلائصهم في كل الأيام، وهذا مما يزيدكم الله به وينقصهم، ويقويكم ويضعفهم، ويعزكم ويذلهم، فاصبروا ولا تعجلوا فإني لو رأيت فرصتي لاهتبلتها.

فخرجنا من عنده ونحن نعرف الفصل فيما ذكر فجلسنا ناحية، وبعث معاوية عند خروجنا من عنده إلى بسر بن أرطاة، فبعثه في ثلاثة آلاف وقال: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم، وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر، حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فاكفف عنهم، ثم سر حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد، وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة، واجعلها شردا حتى تأتي صنعاء والجند فإن لنا بهما شيعة وقد جاءني كتابهم.

فخرج بسر في ذلك البعث حتى أتى دير مروان فعرضهم فسقط منهم أربعمائة فمضى في ألفين وستمائة، فقال الوليد بن عقبة: أشرنا على معاوية برأينا أن يسير إلى الكوفة فبعث الجيش إلى المدينة، فمثلنا ومثله كما قال الأول: أُريها السها وتريني القمر.

فبلغ ذلك معاوية فغضب وقال: والله لقد هممت بمساءة هذا الأحمق الذي لا يحسن التدبير ولا يدري سياسة الأمور، ثم كف عنه.

محرقة ابن ارطاة في المدينة

قال إبراهيم بن هلال روى عوانة عن الكلبي ولوط بن يحيى: ان بسراً لما أسقط من أسقط من جيشه سار بمن تخلف معه وكانوا إذا وردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر، فيردون تلك الإبل ويركبون إبل هؤلاء، فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة.

قال: وقد روي أن قضاعة استقبلتهم ينحرون لهم الجزر حتى دخلوا المدينة قال: فدخلوها

وعامل عليﷺ عليها أبو أيوب الأنصاري صاحب منزل رسول الله ﷺ فخرج عنها هاربا.

ودخل بسر المدينة فخطب الناس وشتمهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم وقال: شاهت الوجوه إن الله تعالى يقول ﴿وضرب الله مثلا قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها﴾[٣٩] الآية، وقد أوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله، كان بلدكم مهاجر النبي ﷺ ومنزله وفيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده فلم تشكروا نعمة ربكم، ولم ترعوا حق نبيكم، وقتل خليفة الله بين أظهركم، فكنتم بين قاتل وخاذل ومتربص وشامت، إن كانت للمؤمنين قلتم ألم نكن معكم؟ وإن كان للكافرين نصيب قلتم ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين؟

ثم شتم الأنصار فقال: يا معشر اليهود وأبناء العبيد بني زريق، وبني النجار، وبني سلمة، وبني عبد الأشهل، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وآل عثمان، أما والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة.

فتهددهم حتى ظن الناس أن يوقع بهم ففزعوا إلى حويطب بن عبد العزى ويقال: إنه زوج أمه، فصعد إليه المنبر فناشده وقال: عترتك وأنصار رسول الله وليسوا بقتلة عثمان، فلم يزل به حتى سكن.

ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه، ونزل فأحرق دورا كثيرة منها: دار زرارة بن حرون أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزرقي، ودار أبي أيوب الأنصاري، وتفقد جابر بن عبد الله فقال: ما لي لا أرى جابرا يا بني سلمة لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر، فعاذ جابر بأم سلمة (رضي الله عنها) فأرسلت إلى بسر بن أرطاة، فقال: لا أؤمنه حتى يبايع، فقالت له أم سلمة: اذهب فبايع، وقالت لابنها: عمر اذهب فبايع فذهبا فبايعاه.

قال إبراهيم: وروى الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما خفت بسراً وتواريت عنه، قال لقومي: لا أمان لكم عندي حتى يحضر جابر.

فأتوني وقالوا: ننشدك الله لما انطلقت معنا، فبايعت فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا وسبيت ذرارينا، فاستنظرتهم الليل فلما أمسيت دخلت على أم

---

(٣٩) سورة النحل: ١١٢.

سلمة فأخبرتها الخبر فقالت: يا بني انطلق فبايع واحقن دمك ودماء قومك، فإني قد أمرت ابن أخي أن يذهب فيبايع.

قال إبراهيم: روى الوليد بن هشام قال: أقبل بسر فدخل المدينة فصعد منبر الرسول صلى الله عليه وآله ثم قال: يا أهل المدينة خضبتم لحاكم وقتلتم عثمان مخضوبا، والله لا أدع في المسجد مخضوبا إلا قتلته ثم قال لأصحابه: خذوا بأبواب المسجد وهو يريد أن يستعرضهم.

هذا وقد ورد اللعن عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حق من أخاف أهل المدينة أو أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثا، فعن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً» قلت: ما ذلك الحدث؟ فقال: «القتل»[٤٠].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله، وكانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[٤١].

مكة ومجزرة ابن ارطاة

قال إبراهيم: وقد روى عوانة عن الكلبي: ان بسر بن أرطاة لما خرج من المدينة إلى مكة قتل في طريقه رجالا، وأخذ أموالا، وبلغ أهل مكة خبره فتنحى عنها عامة أهلها، وتراضى الناس بشيبة بن عثمان أميرا، لما خرج قثم بن العباس عنها.

وقال: ثم خرج بسر إلى مكة، فلما قرب منها هرب قثم بن العباس وكان عامل علي عليه السلام ودخلها بسر فشتم أهل مكة وأنّبهم، ثم خرج عنها واستعمل عليها شيبة بن عثمان.

وخرج إلى بسر قوم من قريش فتلقوه، فشتمهم ثم قال: أما والله لو تركت ورأيي فيكم لتركتكم وما فيكم روح تمشي على الأرض.

وتفقد بسر سعيد بن العاص فطلبه فلم يجده وأقام أياما ثم خطبهم فقال: يا أهل مكة إني قد صفحت عنكم، فإياكم والخلاف، فو الله إن فعلتم لأقصدن منكم إلى التي تبير الأصل، وتحرب المال، وتخرب الديار. ثم خرج إلى الطائف.

---

(٤٠) تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٢١٦ ب١٦ ح٥.

(٤١) نهج السعادة: ج٨ ص٤٩٤.

ابن ارطاة في تبالة

وجه بسر بن ارطاة رجلا من قريش إلى تبالة وبها قوم من شيعة علي عليه السلام وأمره بقتلهم، فأخذهم وكلّم فيهم وقيل له: هؤلاء قومك فكف عنهم حتى نأتيك بكتاب من بسر بأمانهم، فحبسهم وخرج منيع الباهلي من عندهم إلى بسر وهو بالطائف يستشفع إليه فيهم، فتحمل عليه بقوم من الطائف فكلموه فيهم وسألوه الكتاب بإطلاقهم، فوعدهم ومطلهم بالكتاب حتى ظن أنه قد قتلهم القرشي المبعوث لقتلهم وأن كتابه لا يصل إليهم حتى يقتلوا، ثم كتب لهم.

فأتى منيع منزله وكان قد نزل على امرأة بالطائف ورحله عندها فلم يجدها في منزلها، فوطئ على ناقته بردائه وركب فسار يوم الجمعة وليلة السبت لم ينزل عن راحلته قط، فأتاهم ضحوة وقد أخرج القوم ليقتلوا واستبطئ كتاب بسر فيهم، فقدم رجل منهم فضربه رجل من أهل الشام فانقطع سيفه، فقال الشاميون بعضهم لبعض شمسوا سيوفكم حتى تلين فهزوها.

وتبصر منيع الباهلي من بُعد بريق السيوف فألمع بثوبه فقال القوم: هذا راكب عنده خير فكفوا، وقام به بعيره فنزل عنه وجاء على رجليه يشتد، فدفع كتابه إليهم فأطلقوا، وكان الرجل المقدم الذي ضرب بالسيف فانكسر السيف أخاه.

مذبحة ابن ارطاة للأطفال

قال إبراهيم: وروى علي بن مجاهد عن ابن إسحاق: ان أهل مكة لما بلغهم ما صنع بسر خافوه وهربوا، فخرج ابنا عبيد الله بن العباس وهما: سليمان وداود، وأمهما جويرية ابنة خالد بن قرظ الكنانية، وتكنى أم حكيم، وهم حلفاء بني زهرة، وهما غلامان مع أهل مكة فأضلوهما عند بئر ميمون بن الحضرمي، وميمون هذا هو أخو العلاء بن الحضرمي، وهجم عليهما بسر فأخذهما وذبحهما.

فلما سمعت أمهما بقتل ابنيها قالت وهي ذعرة:

ها من أحس بابني اللذين هما كالدرتين تشظّى عنهما الصدف
ها من أحس بابني اللذين هما سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
ها من أحس بابني اللذين هما مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

نبّئت بسرا وما صدّقت ما زعموا منوّلهم ومن الإفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجَي ابنيّ مرهفة مشحوذة وان الإثم يقترف
من دل والهة حرى مسلبة على صبيين ضلا إذ مضى السلف

وقد روي أن اسمهما: قثم وعبد الرحمن، وروي: انهما ضلا في أخوالهما من بني كنانة، وروي: ان بسرا إنما قتلهما باليمن وأنهما ذبحا على درج صنعاء.

وروى عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبيه: ان بسرا لما دخل الطائف وقد كلمه المغيرة، قال: قد صدقتني ونصحتني، فبات بها وخرج منها وشيعه المغيرة ساعة ثم ودعه وانصرف عنه، فخرج حتى مر ببني كنانة وفيهم ابنا عبيد الله بن العباس وأمهما، فلما انتهى بسر إليهم طلبهما، فدخل رجل من بني كنانة وكان أبوهما أوصاه بهما، فأخذ السيف من بيته وخرج، فقال له بسر: ثكلتك أمك والله ما كنا أردنا قتلك، فلم عرضت نفسك للقتل؟

قال: أقتل دون جاري أعذر لي عند الله والناس، ثم شد على أصحاب بسر بالسيف حاسرا وهو يرتجز:

آليت لا يمنع حافات الدار ولا يموت مصلتا دون الجار

فضارب بسيفه حتى قتل، ثم قدم الغلامان فقتلا، فخرج نسوة من بني كنانة فقالت امرأة منهن: هذه الرجال يقتلها فما بال الولدان؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهلية ولا إسلام، والله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الضرع الضعيف والشيخ الكبير ورفع الرحمة وقطع الأرحام لسلطان سوء.

فقال بسر: والله لهممت أن أضع فيكن السيف.

قالت: والله إنه لأحب إلي إن فعلت.

ابن ارطاة في نجران

قال إبراهيم: وخرج بسر بن ارطاة من الطائف فأتى نجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان وابنه مالكا، وكان عبد الله هذا صهرا لعبيد الله بن العباس، ثم جمعهم وقام فيهم وقال: يا أهل نجران يا معشر النصارى وإخوان القرود، أما والله إن بلغني عنكم ما أكره لأعودن عليكم بالتي تقطع النسل، وتهلك الحرث، وتخرب الديار. وتهددهم طويلا.

ثم سار حتى بلغ أرحب فقتل أبا كرب وكان يتشيع، ويقال: إنه سيد من كان بالبادية من همدان فقدمه فقتله.

مجزرة ابن ارطاة لوفد مأرب

ثم أتى بسر صنعاء وقد خرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران، وقد استخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكة الثقفي، فمنع بسرا من دخولها وقاتله، فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما، وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد ورجع إلى قومه فقال لهم: أنعى قتلانا شيوخا وشبانا.

قال إبراهيم وهذه الأبيات المشهورة لعبد الله بن أراكة الثقفي يرثي بها ابنه عمراً:

لعمري لقد أردى ابن أرطاة فارسا بصنعاء كالليث الهزبر أبي الأجر
تعز فإن كان البكا رد هالكا على أحد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه علي وعباس وآل أبي بكر

معاوية وتقريرات ابن ارطاة

ولما رجع ابن ارطاة من إغارته على البلاد الآمنة، ومن قتله العشوائي للآمنين، دخل على معاوية ليرفع إليه تقريراً عن الإرهاب الذي أمره به معاوية ونفذه هو في حق المسلمين القاطنين في المناطق المقدسة من بلاد أمير المؤمنين عليه السلام: مكة والمدينة، وقال: أحمد الله يا أمير أني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جائيا لم ينكب رجل منهم نكبة.

فقال معاوية مموّها للواقع، ومضللاً للرأي العام: الله قد فعل ذلك لا أنت.

وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا، وحرق قوما بالنار، فقال يزيد بن مفرغ يصف ما فعله بسر في زحفه هذا من إرهاب قائلاً:

تعلق من أسماء ما قد تعلقا ومثل الذي لاقى من الشوق أرقا
سقى هزم الأرعاد منبعج الكلى منازلها من مسرقان فسرقا
إلى الشرف الأعلى إلى رامهرمز إلى قريات الشيخ من نهر أربقا
إلى دشت بارين إلى الشط كله إلى مجمع السلان من بطن دورقا
إلى حيث يرفا من دجيل سفينه إلى مجمع اريـن حيث تفرقا
إلى حيث سار المرء بسر بجي فقتل بسر ما استطاع وحرقا

ابن ارطاة عند معاوية

روى أبو الحسن المدائني قال: اجتمع عبيد الله بن العباس وبسر بن أرطاة يوما عند معاوية بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام فقال له ابن عباس: أنت أمرت اللعين السيئ الفدم أن يقتل ابنيّ ؟.

فقال: ما أمرته بذلك ولوددت أنه لم يكن قتلهما.

فغضب بسر ونزع سيفه فألقاه وقال لمعاوية: اقبض سيفك، قلدتنيه وأمرتني أن أخبط به الناس ففعلت، حتى إذا بلغت ما أردت قلت: لم أهو ولم آمر.

فقال: خذ سيفك إليك، فلعمري إنك ضعيف مائق حين تلقي السيف بين يدي رجل من بني عبد مناف قد قتلت أمس ابنيه.

فقال له عبيد الله: أتحسبني يا معاوية قاتلا بسراً بأحد ابني؟ هو أحقر وألأم من ذلك، ولكني والله لا أرى لي مقنعا ولا أدرك ثأرا إلا أن أصيب بهما يزيد وعبد الله.

فتبسم معاوية وقال من باب المغالطة وطرح اللوم على غيره: وما ذنب معاوية وابني معاوية؟ والله ما علمت ولا أمرت ولا رضيت ولا هويت، واحتمل معاوية هذه المصارحة من ابن عباس لشرف ابن عباس وسؤدده.

عاقبة ابن ارطاة

ومن أسباب مكافحة الظالمين والطغاة، والمستبدين والجناة، الدعاء عليهم، فقد اذن الله تعالى للمظلومين في الدعاء على الظالمين، وضمن الإجابة لهم، وذلك نكالاً بهم، وجزاءً لأعمالهم، وعبرة لمن خلفهم.

وفي التاريخ أن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام دعا على بسر فقال في دعائه عليه:

«اللهم إن بسرا باع دينه بالدنيا، وانتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك، اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللهم العن بسرا وعمرا ومعاوية، وليحل عليهم غضبك، ولتنزل بهم نقمتك، وليصبهم بأسك ورجزك الذي لا ترده عن القوم المجرمين».

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيرا حتى وسوس وذهب عقله، فكان يهذي بالسيف ويقول: أعطوني سيفا أقتل به، ولا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب، وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات.

هذا ولا يخفى: إن هناك إرهابيّاً آخر في زمن يزيد بن معاوية، يشبه هذا الارهابي، أعني: بسر بن ارطاة في زمن معاوية ابن أبي سفيان، ويدعى: مسلم بن عقبة، وفي التاريخ: انه كان مسلم بن عقبة ليزيد وما عمل بالمدينة في وقعة الحرة، كما كان بسر لمعاوية وما عمل في الحجاز واليمن، ومن أشبه أباه فما ظلم، وقد سمي (مسرف ابن عقبة) لكثرة إسرافه في الدماء وعدم مبالاته بها، وسيأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى.

معاوية والإرهابي ابن عوف الغامدي

عن سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إني باعثك في جيش كثيف، فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيت فتقطعها، فإن وجدت بها جندا فأغر عليهم، وإلا فامض حتى تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جندا فامض حتى تغير على المدائن، ثم أقبل إلي، واتق أن تقرب الكوفة، واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار وأهل المدائن، فكأنك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترهب قلوبهم، وتجرّئ كل من كان له فينا هوى منهم، ويرى فراقهم، وتدعو إلينا كل من كان يخاف الدوائر، وخرّب

كل ما مررت به، واقتل كل من لقيت ممن ليس هو على رأيك، وحرّب الأموال، فإنه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب.

قال: فخرجت من عنده وعسكرت، وقام معاوية وندب الناس إلى ذلك، فما مرت بي ثلاثة حتى خرجت في ستة آلاف، ثم لزمت شاطئ الفرات فأسرعت السير حتى مررت بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها وما بها عريب، كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى مررت بصندوداء، فتنافروا فلم ألق بها أحدا، فمضيت حتى أفتتح الأنبار وقد أنذروا بي، فخرج إلي صاحب المسلحة فوقف لي، فلم أقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: خبروني كم بالأنبار من أصحاب علي؟.

قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة ولا ندري الذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل.

قال: فنزلت فكتبت أصحابي كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلونهم والله ويصبرون لهم ويطاردونهم في الأزقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحوا من مائتين ثم أتبعتهم الخيل، فلما مشت إليهم الرجال وحملت عليهم الخيل فلم يكن إلا قليلا حتى تفرقوا وقتل صاحبهم في رجال من أصحابه فأتيناه في نيف وثلاثين رجلا فحملنا ما كان في الأنبار من أموال أهلها ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزوة أسلم ولا أقر للعيون ولا أسر للنفوس منها، وبلغني والله أنها أفزعت الناس.

فلما أتيت معاوية فحدثته الحديث على وجهه قال: كنت والله عند ظني بك.

نعم، هكذا يكون ظن معاوية بن أبي سفيان وظن بني أمية وغيرهم من الحكام الذي غصبوا حق أهل بيت نبيهم ﷺ في الحكم، بالنسبة إلى الإرهاب والإرهابيين، لأنهم كانوا هم إرهابيون، حيث نزوا على منبر رسول الله ﷺ وجلسوا مكانه بلا إذن منه ﷺ بل مع نهيه لهم عن ذلك، كما قال ﷺ: «إذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه»[٤٢].

أهل البيت عليهم السلام وسياسة اللاعنف

[٤٢] حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٢ ص٢٥٧.

وفي المقابل نرى أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين عيّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله خلفاء حق من بعده، وأئمة عدل للمسلمين، وفي مقدمتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يتخذ إلا الأسلوب الأفضل في الحكم، فلم تر في سياسته ظلما ولا استبداداً، ولا عنفاً ولا إرهاباً، بل كان عليه السلام يتبع سياسة الحكمة والموعظة الحسنة، نعم أحياناً كان يتبع سياسة العتاب واللوم فقط، وذلك في أشد الحالات كالحرب وما أشبه.

فقد روي: أن سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار، قدم علج من أهلها على أمير المؤمنين علي عليه السلام فأخبره الخبر.

فصعد عليه السلام المنبر فقال: «أيها الناس إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار، وهو مغتر لا يظن ما كان، فاختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم، فإن أصبتم منهم طرفا أنكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا»[٤٣].

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلموا أو يتكلم متكلم منهم بخير، لكنهم صمتوا ولم يجبه منهم أحد.

فلما رأى صمتهم على ما في أنفسهم، خرج يمشي راجلا حتى أتى النخيلة، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من الأشراف، فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك.

فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم.

فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله فرجع وهو واجم كئيب.

ودعا سعيد بن مسلم الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف وقال: اتبع هذا الجيش حتى تخرجهم من أرض العراق.

فخرج على شاطئ الفرات في طلبه حتى إذا بلغ عانات، سرح سعيد أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني فأتبع آثارهم حتى بلغ أداني أرض قنسرين وقد فاتوه ثم انصرف.

قال: فلبث علي عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم سعيد، فكتب كتابا وكان في تلك الأيام عليلا، فلم يطق القيام في الناس بكل ما أراد من القول، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فدعا سعيدا مولاه فدفع الكتاب إليه، فأمره أن يقرأه على الناس، فقام سعيد حيث يسمع علي عليه السلام قراءته، وما يردّ

---

[٤٣] بحار الأنوار: ج٣٤ ص٥٤ ب٣١.

عليه الناس، ثم قرأ الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من قريء عليه كتابي من المسلمين.

سلام عليكم. أما بعد، فالحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين، ولا شريك لله، الأحد القيوم، وصلوات الله على محمد والسلام عليه في العالمين، أما بعد، فإني قد عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت، وراجعتموني بالهزء من قولكم حتى برمت، هزءا من القول لا يعاد به، وخطلا لا يعز أهله، ولو وجدت بداً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت. وهذا كتابي يقرأ عليكم فردوا خيرا وافعلوه، وما أظن أن تفعلوا والله المستعان.

أيها الناس إن الجهاد باب من أبواب الجنة...»[٤٤] إلى آخر كتابه عليه السلام.

موقف أمير المؤمنين عليه السلام من إرهاب معاوية

وهنا لما انتهى سعيد من قراءة كتابه عليه السلام في الناس، قام إليه رجل من الأزد يقال له: حبيب بن عفيف، آخذا بيد ابن أخ له يقال له: عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف، فأقبل يمشي حتى استقبل أمير المؤمنين عليه السلام بباب السدة، ثم جثا على ركبتيه وقال: يا أمير المؤمنين، ها أنا ذا لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك، فو الله لننفذن له ولو حال دون ذلك شوك الهراس وجمر الغضا حتى ننفذ أمرك أو نموت دونه. فدعا لهما بخير وقال لهما: أين تبلغان بارك الله عليكما مما نريد.

ثم أمر الحارث الأعور فنادى في الناس: أين من يشري نفسه لربه، ويبيع دنياه بآخرته، أصبحوا غدا بالرحبة إن شاء الله، ولا يحضرنا إلا صادق النية في المسير معنا والجهاد لعدونا.

فأصبح بالرحبة نحو من ثلاثمائة، فلما عرضهم قال: لو كانوا ألفا كان لي فيهم رأي.

قال: وأتاه قوم يعتذرون وتخلف آخرون، فقال: وجاء المعذرون وتخلف المكذبون.

قال ومكث عليه السلام أياما باديا حزنه، شديد الكآبة، ثم إنه نادى في الناس فاجتمعوا، فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس فو الله لأهل مصركم في الأمصار، أكثر من الأنصار في العرب.

---

[٤٤] بحار الأنوار: ج٣٤ ص٥٤-٥٥ ب٣١.

وعن أبي مسلم قال سمعت عليا عليه السلام يقول لو لا بقية المسلمين لهلكتم.

وعن إسماعيل بن رجاء الزبيدي أن عليا عليه السلام خطبهم بعد هذا الكلام فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم، ما عز من دعاكم، ولا استراح من قاساكم، كلامكم يوهن الصم الصلاب، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم، إن قلت لكم: سيروا إليهم في الحر، قلتم: أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإن قلت لكم: سيروا إليهم في الشتاء، قلتم: حتى ينسلخ عنا البرد، فعل ذي الدين المطول، من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب، أصبحت لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصركم، فرق الله بيني وبينكم، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ أما إنكم ستلقون بعدي أثرة تتخذها عليكم الضلال سنة، فقر يدخل في بيوتكم، وسيف قاطع، وتتمنون عند ذلك أنكم رأيتموني وقاتلتم معي وقتلتم دوني»[٤٥].

وعن بكر بن عيسى: إنهم لما أغاروا بالسواد، قام علي عليه السلام فخطب إليهم فقال: أيها الناس ما هذا فو الله إن كان ليدفع عن القرية بالسبعة نفر من المؤمنين تكون فيها.

أمير المؤمنين عليه السلام يستنفر أصحابه

وعن ثعلبة بن يزيد الحماني أنه قال: بينما أنا في السوق إذ سمعت مناديا ينادي: الصلاة جامعة، فجئت أهرول والناس يهرعون، فدخلت الرحبة فإذا علي عليه السلام على منبر من طين مجصص وهو غضبان، قد بلغه أن ناسا قد أغاروا بالسواد، فسمعته يقول: أما ورب السماء والأرض ثم رب السماء والأرض، إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله أن الأمة ستغدر بي.

وعن المسيب بن نجبة الفزاري أنه قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: «إني قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم ومعصيتكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وباجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، حتى تطول دولتهم وحتى لا يدعوا لله محرما إلا استحلوه، حتى لا يبقى بيت وبر ولا بيت مدر إلا دخله جورهم وظلمهم حتى يقوم الباكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي

---

[٤٥] بحار الأنوار: ج٣٤ ص٥٧ ب٣١.

لدنياه، وحتى لا يكون منكم إلا نافعا لهم أو غير ضار بهم، وحتى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيده إذا شهد أطاعه وإذا غاب سبه، فإن أتاكم الله بالعافية فاقبلوا وإن ابتلاكم فاصبروا فإن العاقبة للمتقين»[٤٦].

وقال جندب بن عبد الله الوائلي: كان علي عليه السلام يقول: أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلا شاملا، وسيفا قاتلا، وأثرة يتخذها الظالمون عليكم سنة، فستذكروني عند تلك الحالات فتمنون لو رأيتموني ونصرتموني وأهرقتم دماءكم دون دمي، فلا يبعد الله إلا من ظلم.

وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئا مما يكرهه قال: لا يبعد الله إلا من ظلم[٤٧].

يزيد العنف والإرهاب

روي: أن النبي صلى الله عليه وآله لعن من يحدث في المدينة حدثا، وجعلها حرما، بينما نرى في التاريخ أن يزيد بن معاوية، ينتهك حرمة المدينة، ويحدث فيها ما يحدث، حيث انه يرسل مسلم بن عقبة إلى المدينة لنهبها وسبي أهلها وأن يبايعوه على أنهم عبيد قن ليزيد بن معاوية، وقد أباحها مسلم بن عقبة ثلاثة أيام، حتى ذكر جماعة من أصحاب التواريخ: أنه ولد منهم في تلك المدة أربعة آلاف مولود لا يعرف لهم أب.

وكان في المدينة وجوه بني هاشم، والصحابة، والتابعين، وحُرم خلق عظيم من المسلمين.

وأتبع يزيد ذلك في وصيته لمسلم بن عقبة بإنفاذ الحصين بن نمير السكوني لقتال عبد الله بن الزبير بمكة، فرمى الكعبة بخرق الحيض والحجارة، وهتك حرمة حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وتجاهر بالفساد في العباد والبلاد، وكان ذلك الدمار والفساد بسبب تسلط سفهاء بني أمية من أمثال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، على رقاب الناس والحكم فيهم بالحديد والنار والعنف والإرهاب.

وفي الحديث: «لعن رسول الله صلى الله عليه وآله من أحدث في المدينة حدثاً أو آوى محدثاً» قلت: ما ذلك الحدث؟ فقال: «القتل»[٤٨].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من أخاف أهل المدينة ظالماً لهم أخافه الله، وكانت عليه

---

[٤٦] بحار الأنوار: ج٣٤ ص٥٧ ب٣١.

[٤٧] بحار الأنوار: ج٣٤ ص٥٩ ب٣١.

[٤٨] تهذيب الأحكام: ج١٠ ص٢١٦ ب١٦ ح٥.

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»[٤٩].

وقد روت العامة ذلك أيضاً، ففي مجمع الزوائد عن جابر بن عبد الله أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة وكان قد ذهب بصر جابر، فقيل لجابر: لو تنحيت عنه، فخرج يمشي بين ابنيه فنكب، فقال: تعس من أخاف رسول الله ﷺ، فقال ابناه أو أحدهما: يا أبت وكيف أخاف رسول الله ﷺ وقد مات؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ أنه قال: «من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي» رواه أحمد...، وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل» رواه الطبراني في الأوسط والكبير... وعن خالد بن خلاد بن السائب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وغضب عليه ولم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً» رواه الطبراني في الكبير[٥٠].

ورووا عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفهم من دهمهم ببأس، يعني أهل المدينة، ولا يريدها أحد بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»[٥١].

إلى غيرها من الروايات.

تعاليم إرهابية من يزيد

لما أرسل يزيد بن معاوية جيش الحرة إلى المدينة وعلى الجيش مسلم بن عقبة المري، أباح المدينة ثلاثا، واستعرض أهلها بالسيف جزرا كما يجزر القصاب الغنم، حتى ساخت الأقدام في الدم، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبد قن لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرة من أهل المدينة ليزيد، وذلك خوفاً من بطشه وسيفه.

وهرب علي بن عبد الله بن العباس إلى أخواله من كندة، فحموه من مسلم بن عقبة

---

[٤٩] نهج السعادة: ج٨ ص٤٩٤.

[٥٠] مجمع الزوائد: ج٣ ص٣٠٦.

[٥١] مجمع الزوائد: ج٣ ص٣٠٧.

وقالوا: لا يبايع ابن أختنا.

فأبى مسلم بن عقبة ذلك، وسفر السفراء بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على أن يبايع ويقول: أنا أبايع لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وألتزم طاعته ولا يقول غير ذلك.

فقال علي بن عبد الله بن العباس:

أبـــي العبـــاس رأس بنـــي قصـــي وأخـــوالي الملـــوك بنـــو وليعـــة
هـــم منعـــوا ذمـــاري يـــوم جـــاءت كتائـــب مســـرف وبنـــو اللكيعـــة
أراد بـــي التـــي لا عـــز فيهـــا فحالـــت دونـــه أيـــد منيعـــة

يزيد يقمع معارضيه

كان عبد الله بن الزبير من أعدى أعداء أهل البيت عليهم السلام وهو الذي صار سببا لعدول أبيه: الزبير عن معسكر أمير المؤمنين عليه السلام إلى معسكر الضلال الذي حارب أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وذلك حيث يقول عليه السلام: «لا زال الزبير معنا حتى أدرك فرخه»[٥٢].

و المشهور أنه بويع له بالخلافة بعد شهادة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) لسبع بقين من رجب سنة أربع وستين في أيام يزيد.

وقيل: لما استشهد الإمام الحسين عليه السلام في سنة ستين من الهجرة دعا ابن الزبير بمكة إلى نفسه، وعاب يزيد بالفسوق والمعاصي وشرب الخمور، فبايعه أهل تهامة والحجاز، فلما بلغ يزيد ذلك ندب له الحصين بن نمير وروح بن زنباع، وضم إلى كل واحد جيشا، واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة وجعله أمير الأمراء، ولما ودعهم قال: يا مسلم لا ترد أهل الشام عن شيء يريدونه لعدوهم، واجعل طريقك على المدينة، فإن حاربوك حاربهم، فإن ظفرت بهم فأبحهم ثلاثا.

فسار مسلم حتى نزل الحرة، فخرج أهل المدينة فعسكروا بها وأميرهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، فدعاهم مسلم بن عقبة ثلاثا فلم يجيبوا فقاتلهم، فغلب أهل الشام وقُتل عبد الله وسبعمائة من المهاجرين والأنصار، ودخل مسلم المدينة وأباحها ثلاثة أيام، ثم شخص بالجيش إلى مكة وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة.

---

[٥٢] بحار الأنوار: ج٦٨ ص١٢٣ ب٦٣.

نعم، لقد أرسل يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لقتال المسلمين في المدينة المنورة، فجاء مسلم إلى المدينة وقتل من قتل من المهاجرين والأنصار والتابعين، وأباح المدينة ثلاثة أيام، ثم خرج إلى مكة فمات في الطريق. فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير حتى وافى مكة، فتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه، ونصب الحصين المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة.

الإمام الحسين ﷺ رمز الحرية والإباء

ومن كلام للإمام الحسين عليه السلام يوم الطف:

«ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية»[٥٣].

بهذا الكلام البليغ الوجيز، عرّف الإمام عليه السلام واقع بني أمية وحقيقتهم للناس، وكشفهم للتاريخ والأجيال، وعرّاهم على الذي كانوا يضمرونه من إرهاب وإرعاب تجاه المعارضين، بل تجاه كل الناس الأبرياء.

معاوية من منظار ابن أبي الحديد

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: قد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية ولم يقتصروا على تفسيقه وقالوا عنه: إنه كان ملحدا لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك[٥٤].

ثم ذكر ما أسلفناه سابقاً من رواية الموفقيات في تصريح معاوية بما يضمره من كفر في قلبه، بقوله: وروى الزبير بن بكار في الموفقيّات وهو غير متهم على معاوية، ولا منسوب إلى اعتقاد الشيعة لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام والانحراف عنه،

فذكر مقولة معاوية في «أشهد أن محمداً رسول الله»: لا والله إلا دفنا دفنا.

ثم قال: وأما أفعاله المجانبة للعدالة، الظاهرة من لبسه الحرير، وشربه في آنية الذهب

---

[٥٣] اللهوف: ص٩٧، المسلك الثاني في وصف حال القتال.

[٥٤] شرح نهج البلاغة: ج٥ ص١٢٩ أخبار متفرقة عن معاوية.

والفضة، حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم.

قال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأسا.

فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية أنا أخبره عن الرسول ﷺ وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أبدا.

ثم قال: نقل هذا الخبر المحدثون والفقهاء في كتبهم في باب الاحتجاج على أن خبر الواحد معمول به في الشرع، وهذا الخبر يقدح في عدالته كما يقدح أيضا في عقيدته، لأن من قال في مقابلة خبر قد روى عن رسول الله ﷺ: أما أنا فلا أرى بأسا فيما حرمه رسول الله ﷺ ليس بصحيح العقيدة، ومن المعلوم ذلك أيضا من حالة استئثاره بمال الفيء، وضربه من لا حد عليه، وإسقاط الحد عمن يستحق إقامة الحد عليه[٥٥]، وغير ذلك.

قال أبو جعفر: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام ۞ وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾[٥٦].

وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ [٥٧] فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك.

قال: وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثا لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبي زينب.

وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: وددت أن أترك فأحدّث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوما إلى الليل وان عنقي هذه ضربت بالسيف.

قال: فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية

---

[٥٥] شرح نهج البلاغة: ج٥ ص١٣٠ أخبار متفرقة عن معاوية.

[٥٦] سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٥.

[٥٧] سورة البقرة: ٢٠٧.

بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بني مروان مع طول المدة وشدة العداوة. ولو لا أن الله تعالى في هذا الرجل سرا يعلمه من يعلمه لم يرو في فضله حديث ولا عرفت له منقبة، ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره ونسي اسمه وصار وهو موجود معدوما وهو حي ميتا.

ثم يواصل ابن أبي الحديد كلامه ويقول: هذه خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر (رحمه الله تعالى) في هذا المعنى في كتاب التفضيل.

آل مروان وإرهابهم

ثم انه لما مات يزيد بن معاوية عن إرهاب لم يسبق له مثيل، واستقال ابنه من الجلوس مكان أبيه يزيد، جاء دور الإرهابيين من مروان وبنيه، فقد قال بكر بن عبد الله المزني: أسلم يهودي اسمه يوسف، وكان قد قرأ الكتب، فمر بدار مروان فقال: ويل لأمة محمد ﷺ من أهل هذه الدار.

فقلت له: إلى متى؟

قال:حتى تجيء رايات سود من قبل خراسان.

وكان هذا صديقاً لعبد الملك بن مروان، فضرب يوماً على منكبه وقال: اتق الله في أمة محمد إذا ملكتهم.

فقال: دعني، ويحك ما شأني وشأن ذلك؟

فقال: اتق الله في أمره.

قال: وجهّز يزيد بن معاوية جيشاً إلى أهل مكة، فقال عبد الملك: أعوذ بالله أيبعث إلى حرم الله؟

فضرب يوسف منكبه وقال: جيشك إليهم أعظم!.

وهكذا كان، فقد جاء في التاريخ: أن عبد الملك بن مروان أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي مع جيش فاتك إلى مكة للقضاء على معارضة ابن الزبير، فتحصّن بالبيت فقصف بيت الله الحرام بالمنجنيق حتى هدمه ثم قضى على الزبير وعلى معارضته.

الحجاج: الإرهابي الآخر

كان الحجاج بن يوسف الثقفي هو الإرهابي الآخر الذي واصل مسيرة الإرهاب التي سار عليها حكام بني أمية وبني مروان لقمع المعارضين وإبادة الأبرياء من الناس، فقد بعثه عبد الملك بن مروان على رأس جيش جهّزه له في سنة ثلاث وسبعين هجرية إلى عبد الله بن الزبير، فحصره بمكة ورمى البيت بالمنجنيق، ثم ظفر به وقتله، واجتز الحجاج رأسه وصلبه منكساً، ثم أنزله ودفنه في مقابر اليهود.

ولما ورد الحجاج إلى العراق عاملاً من قبل عبد الملك عليها، خطب الناس أول وروده وقال:

يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، أما والله لألحونكم لحو العصا، ولأعصبنكم عصب السلم، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، إني أسمع لكم تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الترغيب، ولكنه تكبير الترهيب، ألا إنها عجاجة تحتها قصف، يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الإماء إنما مثلي ومثلكم كما قال ابن براقة:

وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما وأنفاً حميا تجتنبك المظالم

والله لا تقرع عصا عصا إلا جعلتها كأمس الذاهب.

وكانت هذه الخطبة عقيب سماعه تكبيرا منكرا في شوارع الكوفة فأشفق من الفتنة[٥٨].

قال أبو عثمان الجاحظ: العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام، ان أهل العراق أهل نظر وذووا فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء وإظهار عيوب الأمراء... وما زال العراق موصوفا أهله بقلة الطاعة وبالشقاق على أولي الرئاسة[٥٩].

من خطب الحجاج الإرهابية

ومن صفات الطغاة إرهاب الناس بمختلف الوسائل، وشتى السّبل، حتى ولو صار

---

[٥٨] شرح نهج البلاغة: ج١ ص٣٤٣-٣٤٤.

[٥٩] شرح نهج البلاغة: ج١ ص٣٤٣.

بالكلام والمخاطبة، وقد خطب الحجاج بن يوسف الثقفي أهل العراق وقال: (إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان أوان قطافها، وإني لقاطفها، وكأني انظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.. يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان، ولا يغم جانبي كنغماز التين.. وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني في أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً، فرماكم بي، لأنكم طالما أرضعتم في الفتنة وأضجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، وإني والله لا أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه).

خطبته عندما أراد الحج

ومن خطبة للحجاج عند ما أراد الحج قال فيها:

يا أهل الكوفة: إني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابني محمداً، وأوصيته بخلاف وصية رسول الله ﷺ في الأنصار، فإنه أمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وإني قد أوصيته ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم، ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة، ألا وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله لكم الخلافة.

خطبته في تهديد أهل الكوفة

ومن خطبة للحجاج خطبها يوماً على أهل الكوفة فقال: يا أهل الكوفة إن الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، وتحصد بالسيف، أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني، وما أنا بالمستوحش لعداوتكم، ولا المستريح إلى مودتكم، زعمتم أني ساحر وقد قال الله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر﴾ [٦٠] وقد أفلحت، وزعمتم أني أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون؟

---

[٦٠] سورة طه: ٦٩.

خطبته لأهل العراق

خطب الحجاج فشكا سوء ضاعة أهل العراق، فقام إليه جامع المحاربي فقال: أيها الأمير دع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، فلو أحبوك لأطاعوك، إنهم ما شنئوك بنسبك ولا لبأوك، ولكن لإيقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك.

فقال الحجاج: ما أراني أرد بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف.

فقال جامع: أيها الأمير إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار.

فقال الحجاج: الخيار يومئذ لله.

فقال: أجل ولكنك لا تدري لمن يجعله الله.

فقال: يا هناه إيها فإنك من محارب.

وهكذا كان المستبدون كالحجاج وأمثاله، يستخفّون بالناس، ولا يرون لأحد قيمة ولا كرامة.

إرهاب الحاكم المرواني: عبد الملك

كان هذا بعض الشيء من إرهاب الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق، وأما عبد الملك نفسه، فحدّث عن إرهابه ولا حرج، ففي التاريخ:

انه حج عبد الملك في سنة خمس وسبعين هجرية بعد مقتل ابن الزبير، فدخل المدينة المنورة فأمره بعض الصحابة بتقوى الله، فقام خطيباً وقال:

أما بعد فلست بالخليفة المستضعف (يعني: عثمان) ولا الخليفة المداهن (يعني: معاوية) ولا الخليفة المأبون (يعني: يزيد)، ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، تكلفوننا أعمال المهاجرين ولا تعملون مثل أعمالهم، فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم، هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته، وموضعه موضعه، قال برأسه هكذا، فقلنا بأسيافنا هكذا، إلا إنا نحتمل لكم كل شيء إلا وثوباً على أمير أو نصب راية، ألا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه. ثم نزل.

قال هذا متناسياً ومتجاهلاً قول الله تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزّة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾[٦١].

تولية المستهترين على الناس

وكان عبد الملك بن مروان قد ولى الحارث بن خالد المخزومي مكة، فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ وكان يهواها، فأرسلت إليه: أخِّر صلاتك حتى أفرغ من الطواف، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه، فعزله وكتب إليه يؤنبه فيما فعل.

فقال:ما أهون والله غضبه إذا رضيت، والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت

---

[٦١] سورة البقرة: ٢٠٦.

الصلاة إلى الليل.

ومن المعلوم: أن هذا التصريح وهذه التصرفات، تصرفات من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فكيف صار هؤلاء ولاة للمسلمين وحكاماً عليهم إلا عبر الإرهاب والحديد والنار؟

عبد الملك يقتل صديقه القديم

ومما جاء في التاريخ من إرهاب بني مروان وعنفهم: قتل عبد الملك مصعب بن الزبير في مسكن بعد حرب دارت بينهما، وكان مصعب اختلف عليه أهل العراق وخذلوه، فاستقتل ووطن نفسه على ذلك وقال: لي بالحسين بن علي أسوة حين أمتنع من الذلة وجعل ينشد:

وإن الأُلى بالطف من آل هاشم تأسّـــوا فســـنّوا لِلكـــرام التأســـيا

قال المدائني: وأرسل عبد الملك أخاه إلى مصعب يعطيه الأمان فأبى وقال: إن مثلي لا ينصرف عن هذا الموضع إلا غالباً أو مغلوباً، فقاتل حتى قتل.

ولما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال عبد الملك: لقد كان بيني وبين مصعب صحبة قديمة وكان من أحب الناس إلي ولكن هذا الملك عقيم.

الملك عقيم: تصريح لعبد الملك

وقيل: انه لما وقع مصعب بن الزبير في المعركة على الأرض، نزل إليه عبد الملك بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه وحمله إلى عبد الملك، فلما رأى عبد الملك رأس مصعب بكى وقال:

لقد كان أحب الناس إلي وأشدهم مودة لي ولكن الملك عقيم.

وهذا التصريح بهذه الكلمة قد نُقلت عن الكثير من الحكام الطغاة قبل عبد الملك وبعده، وهو معنى آخر للكلمة المعروفة عند طغاة اليوم التي يردّدونها بينهم وهي: الهدف يُبرّر الوسيلة، علماً بأن هذا هو منطق مرفوض في الإسلام. ومتوعّد عليه بالنار، وقائلها ليس بمؤمن ولا بمسلم.

اعتراف عبد الملك بشرب الطلاء والدماء

قال يحيى الغساني: كان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء، فقالت له مرة: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء (الخمرة) بعد النسك والعبادة؟ قال: أي والله

والدماء قد شربتها.

وكان عبد الملك بالإضافة إلى ولعه بشرب الخمرة وشرب دماء الناس، ولوعاً بجمع الجواري من أطراف البلاد ومختلف الأصقاع، وينفق من بيت المال في ذلك المبالغ الطائلة، ذكر محمد ابن واسع الهيتي: أن عبد الملك بن مروان بعث كتاباً إلى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الملك بن مروان إلى الحجاج ابن يوسف، أما بعد: فإذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسيّر لي ثلاث جوار مولدات أبكار، يكون إليهن المنتهى في الجمال، واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال.

فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا النخاسين وأمرهم بما أمره عبد الملك، فأعدوا له ثلاثة: إحداهن قيمتها ثلاثون ألف درهم، والأخرى ستون ألف درهم، والثالثة ثمانون ألف درهم.

عبد الملك يوصي ابنه بالإرهاب

وقد أوصى عبد الملك بن مروان ابنه بوصايا إرهابية وهو في فراش الموت قائلاً:

إذا أنا مت إياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء، لكن ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني، وعليك شأنك وادع الناس إلى بيعتك فمن قال: برأسه هكذا فقل له: بسيفك هكذا.

وكان قد بعث عبد الملك بن مروان قبل ذلك إلى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية وقال لهما: هل عندكما ندامة في بيعة الوليد؟

فقالوا: لا نعرف أحداً أحق منه بالخلافة.

فقال: أما إنكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما، ثم رفع عن فراشه فإذا تحته سيف مسلول تحت يمينه، كل هذا وروحه تتردد في حنجرته، ثم بعد ساعة نفدت روحه ومات.

الوليد عندما علا منبر دمشق

قال ابن جرير: عندما رجع الوليد من دفن أبيه صعد على منبر دمشق، فقال مما قال: أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد.

أيها الناس، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه.

ثم نزل إلى ما كان من دواب الخلافة فحازه وكان جباراً عنيداً.

من إرهاب الوليد بن عبد الملك

قال المدائني: جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يعذرك.

قال: صدقت، ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك، من ههنا من أقرب الحرس إليه يقوم فيضرب عنقه.

مع سليمان بن عبد الملك وإرهابه

ثم انه جاء بعد الوليد بن عبد الملك، أخوه سليمان بن عبد الملك، فكان لا يقل عن أخيه في الطغيان، وفي الإرهاب والعنف، والجفاء وقسوة القلب، فقد ذكر ابن جرير: أن سليمان كان في منتزه ومعه حُرمه، فسمع في بستان آخر صوت رجل يغني فدعا صاحب شرطته، فقال: عليّ بصاحب الصوت، فأتى به، فلما مَثل بين يديه قال له: ما حملك على الغناء وأنت إلى جنبي ومعي حرمي؟ أما علمت أن الرمان إذا سمعت صوت الفحل حنت إليه؟ يا غلام جُبَّه.

فَجُبَّ الرجل، فلما كان في العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المنتزه فجلس مجلسه الذي فيه، فذكر الرجل وما صنع به، فقال لصاحب شرطته: عليَّ بالرجل الذي كنا جببناه فأحضره، فلما مثل بين يديه، قال له: إما بعتَ فوفيناك، وإما وهبت فكافأناك.

قال: فوالله ما دعاه بألقابه وكناه بالخلافة ولكنه قال له: يا سليمان الله الله! إنك قطعت نسلي، فذهبت بماء وجهي، وحرمتني لذتي، ثم تقول: إما وهبت فكافأناك، وإما بعت فوفيناك، لا والله حتى أقف بين يدي الله.

لقاء بين سليمانين

قعد للناس يوماً الحاكم المرواني سليمان بن عبد الملك يعرض ويفرض، فأقبل فتى من بني عبس وسيم فأعجبه، فقال: ما اسمك؟

قال: سليمان.

قال: ابن من؟

قال: ابن عبد الملك.

فأعرض عنه وجعل يفرض لمن دونه.

فعلم الفتى أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه فقال: يا أمير! لا عدمت اسمك، ولا شقي اسم يوافق اسمك، فافرض فإنما أنا سيف بيدك إن ضربت به قطعت، وإن أمرتني أطعت، وسهم في كنانتك أشتد إن أرسلت، وأنفذ حيث وجهت.

فقال له سليمان وهو يروزه ويختبره: ما قولك يا فتى لو لقيت عدوا.

قال: أقول حسبي الله ونعم الوكيل.

قال سليمان: أكنت مكتفيا بهذا لو لقيت عدوك دون ضرب شديد؟

قال الفتى: إنما سألتني يا أمير ما أنت قائل فأخبرتك، ولو سألتني ما أنت فاعل لأنبأتك: انه لو كان ذلك لضربت بالسيف حتى يتعقف، ولطعنت بالرمح حتى يتقصف، ولعلمت إن ألمت فإنهم يألمون، ولرجوت من الله ما لا يرجون.

فأعجب سليمان به وألحقه في العطاء بالأشراف.

وهكذا يكون الطغاة من بني أمية وبني مروان وغيرهم أنانيين، بحيث لا يتحملون من أحد حتى المشابهة الاسمية معهم، فكيف بالتشابه من جهات أخرى؟

مع قتيبة الفاتح

إن في هذه القصة . على ما سوف ترى . لدليلاً على عدم كفاءة حكام بني مروان كحكام بني أمية، حيث انهم كانوا يدنون المتملقين غير الكفوئين، ويقصون الأكفاء حسداً لهم فيأمرون بعزلهم، ويسبّبون قتلهم، ويحرمون الأمة من خيرهم، كما فعله هذا الحاكم المرواني: سليمان بن عبد الملك في القصة التالية:

في أواخر شتاء سنة ثلاث وتسعين من الهجرة النبوية المباركة انتهى قتيبة بن مسلم الباهلي الفاتح من فتح خوارزم[٦٢]، وهو أقليم شاسع يقع معظمه في أراضي الاتحاد السوفياتي السابق والذي انهار أخيراً.

ثم تقدم قتيبة شرقاً فدخل أقليم فخارستان واحتل عاصمته بلخ، ثم اتجه إلى الشمال فعبر نهر جيحون واخترق اقليم الختل واقترب من حدود الصين.

وكان قتيبة يسير منذ حين في بلاد الترك بعد أن أتم فتح بلاد الفارس، ومكن لأقدام المسلمين في أقليم خراسان الشاسع وعاصمته (مرو)، وكان كل ذلك بفضل المعنويات العالية للمسلمين، فانه يذكر في جنده أن الفصل كان شتاءاً وقارصاً، والثلوج تغطي الجبال الشاهقة، وهي جبال قرقورم التي يقع جزء منه اليوم في أفغانستان، فأذن قتيبة لجنده في شيء من الراحة في موضع قريب من (كاشغر) داخل حدود الصين، وكان الأتراك قوماً محاربين ولهم أجساد ضخمة وأصوات عالية جهورية، وكانوا يزعمون أن أحداً لن ينال أرضهم منالاً، حتى جاء قتيبة فاقتحم عليهم بلادهم اقتحاماً، وأقفل قواعدهم واضطرهم إلى الإسراع إليه للتفاهم معه، بعد أن كانوا يرون أنفسهم أقوى شعوب الأرض كافة، وانهم لهذا لا يتفاهمون مع شخص إلا بالسيف.

وكان للترك آنذاك ملك يقال له: (زمبيل) وكان رجلاً مهاباً يتبعه مائة ألف سيف من الأتراك، وكان يسيطر بقواته على كل البلاد الممتدة من نهر المرغاب، الذي يجري جنوبي خراسان موازياً لنهر جيحون في مجراه، وكانت لهذا الملك القوي قواعد شتى في بلاد الترك مثل: (هرات) و(غزنة)، وكان قد غلب ملوك الترك أجمعين، وقهر جيوش الصين اكثر من مرة، حتى اضطر إمبراطور الصين إلى دفع الجزية له، وبلغ من خوف الصينيين منه أنهم أعادوا بناء السور الصيني، حتى لا يتمكن الترك من اقتحام البلاد عليهم.

بين قتيبة وزمبيل

عندما سمع (زمبيل) أن قتيبة اقتحم عليه بلاده من الغرب، أقسم ليأدبنه وليأخذنه أسيراً،

---

[٦٢] خوارزم: منطقة تاريخية تقع على ضفاف نهر أمو داريا (جيحون) في أراضي جمهوريتي تركمانستان وأوزبكستان، خضعت لحكم الأخيمينيين، فتحها المسلمين العرب في القرن السابع للميلاد، وفي ما بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر حكمتها سلالة مستقلة تعرف بالسلالة الخوارزمشاهية وبعد ذلك خضعت لسطان المغول والتيموريين، ثم أصبحت قلب (خانية كيفا)، فتحها الروس وأخضعوها لحمايتهم عام ١٨٧٣، وبعد الثورة السوفياتية ألغيت (الخانية) وأنشئت مكانها (جمهورية خوارزم الشعبية السوفياتية) (١٩٢٠-١٩٢٤).

فما كاد يلقاه أول مرة شمالي (مرف) غربي خراسان على اصطلاح ذلك اليوم حتى فوجئ برجل لا يشبه في شيء من عرفهم بالرجال العسكريين، فوجد رجلاً شاباً يقارب الأربعين من عمره، ذا وجه وسيم في قامته العريضة، وصوته الجهوري، وثيابه العادية، وأكثر الملك زمبيل من قتيبة طاعة رجاله له، وتفانيهم في تنفيذ ما يؤمرون به دون تردد، وكان يحفزهم على ذلك إيمانهم العميق بدينهم الإسلام، واعتصامهم بالله سبحانه وتعالى، فكانوا لا يرون شيئاً أمامهم وإنما ينفذون أوامر الله في إنقاذ الناس من الطواغيت وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

وكان قتيبة يأمر رجاله بأن يستولوا على جبل كان مغطىً بالثلوج فسارعوا إلى تنفيذ ما أمروا به فلم يلبثوا إلا استولوا عليه فكانت الانتصارات نتيجة إيمانهم بالله والعمل بقوانين الإسلام وإقامتهم للصلاة وكان العدل بينهم منتشراً فلا ظالم ولا مظلوم، ولا آكل ولا مأكول، وهذا هو الذي سبب التفافهم حول قادتهم فمن الداخل الإيمان بالله واليوم الآخر ومن الخارج العدالة الكاملة.

وحاول زمبيل أن يلاقي قتيبة مرة أخرى حيث لم يكن رجاله يطيقون الصمود أمام المسلمين فلم يحاربوا إلا قليلاً ثم يولون الأدبار.

وفي مرة من المرات كاد يقع هو نفسه أسيراً في يد قتيبة ومن أكثر ما بهره من حزم قتيبة وشجاعته: أن الجيشين اصطفا مرة للقتال ثم نودي للصلاة، فقام قتيبة ورجاله يصلون الصلاة ولم يتراجعوا أمام العدو، والصلاة في الحرب تسمى بصلاة الخوف حيث ينقسمون إلى قسمين: قسم يصلي وقسم يحرس، فإذا انتهى الأولون من صلاتهم تولوا الحراسة وصلى الآخرون مقتدين بقتيبة، حيث أبى إلا أن يصلي مع القسمين معاً ليظهر للعدو أنه غير مكترث بهم ولا يهاب من سيوفهم، وقد بهت الترك وهم يرون أولئك الرجال وهم يؤدون صلاتهم بكل شجاعة في مواجهة العدو فأدركوا أنهم كالجبال بل أقوى منها وهم طراز جديد من الناس لم يعرفوا من قبل لأن الذين عرفوهم من قبل كانوا وثنيين لا قوة في باطنهم ولا قوة في ظاهرهم، فتأكدوا من ذلك عندما أتم المسلمون صلاتهم فكروا على عدوهم كرة الشجعان والسيوف بأيديهم فأزالوهم من مواقعهم في بضعة دقائق واسروا منهم كثيراً فلما تم النصر سأل قتيبة أولئك الأسرى إن كانوا يرغبون دخول الإسلام فانه يتركهم وشأنهم كما هو قانون الإسلام، فانه إذا ما تم أسر الجند وأسلم الأسير تركه وشأنه فأطلق قتيبة سراحهم وسلم لهم سيوفهم.

وكان زمبيل قد هرب بعد تلك الواقعة إلى مخبأ له وهناك بلغته الأخبار فعلم أن لا طاقه له بهذا الرجل الذي يمثل الدين الواقعي وانتابته الهموم وفي تلك الحال إذا رسول من قتيبة يأتيه يعرض عليه الإسلام ويدعوه لأن يدخل مع قومه في هذا الدين الحنيف وأنه إذا أسلم تركه وشأنه، كما كان عادة الرسول الأعظم ﷺ فانه إذا أسلمت عشيرة تركهم وشأنهم، لأنه لم يحاربهم لكي يحكمهم ويسيطر عليهم بل كان يريد من الناس أن يدخلوا في الصراط المستقيم ويتركوا عبادة الأوثان إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ويقيموا العدل بينهم.

فطلب زمبيل من الرسول أن يعلمه الإسلام، وكان الرسول عالماً جليلاً اسمه (ضحاك) الذي يلقب بصاحب التفسير، فلما سمع زمبيل كلام الضحاك شرح الله قلبه للإسلام، فدخل فيه وتشهد بالشهادتين وأقبل إلى قتيبة فلقيه عند بلخ[٦٣] وأصبح من رجاله وأتباعه ولم يجد في ذلك حرجاً، لأن قتيبة كان مؤمناً وعرف كيف يتعامل مع هذا الملك الذي أسلم هو وجماعته عن قرب فقدرهم بتقدير واف واحترام كاف وأخوة وتساو حسب مبادئ الدين الإسلامي، فلهم ما لقتيبة وجماعته وعليهم ما على قتيبة وجماعته.

دخول الإسلام في الصين

وبقي قتيبة بعد ذلك سيد بلاد خراسان وبلاد الترك وفي الفترة الأخيرة من حكمه سنة أربع وتسعين من الهجرة دخل قتيبة أرض الصين من ناحية (فرغانة) واحتل (كاشغر) غربي الصين وأرسل الدعاة لكي يدعوا الناس إلى الإسلام، فانتصر الإسلام في نواحي كاشغر وحوض نهر التاريم وهو الآن جزء من ولاية سنكيانج في غربي الصين وهي ولاية صينية إسلامية إلى يومنا هذا.

وفي جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين بعد تلك الفتوحات حسده الحاكم الأموي الجاهل الذي كان يسمى بسليمان بن عبد الملك فانه كان مشتغلاً بالخمر والقيان والفساد والإفساد ولا يهمه أمر الإسلام في شيء فعزله ولم يكن الأمر خاصاً بقتيبة فعزل جماعة من رجاله أيضاً، ومن سائر الفاتحين الذين دخلوا الهند في الشرق وأتموا فتح المغرب ثم فتحوا

---

[٦٣] بلخ: مقاطعة في الجزء الشمالي من أفغانستان، مساحتها ١٥,٦٢٦ كيلو متراً مربعاً، سكانها حوالي ٤٠,٠٠٠ نسمة عاصمتها: مزار شريف، وبلخ مدينة في هذه المقاطعة، تقع على بضعة أميال إلى الغرب من العاصمة مزار شريف، كانت عاصمة مملكة باكتريا، ازدهرت في عهد العباسيين والسامانيين وكانت مركزاً ثقافياً مرموقاً، اجتاحها جحافل جنكيز خان ودمرتها عام ١٢٢٠م.

الأندلس في الغرب فجعل همه مطالبتهم وعزلهم، فلما عزل محمد بن القاسم فاتح الهند وعزل موسى بن نصير وطارق بن زياد اللذين فتحا الأندلس أحس قتيبة أن دوره قادم فأبى أن ينتظر حتى يعصف به الحاكم المغرور سليمان بن عبد الملك، ففي ليلة من الليالي في سنة ست وتسعين كان قتيبة في معسكره خارج مدينة فرغانة وكان مطمئناً إلى رجاله فسهر معهم بعض الوقت ليتدبر الأمور معهم ولكنه أحس أن شيئاً ما في معسكره قد تغيّر.

وبالفعل كان قد وصل الأمر من قبل سليمان بن عبد الملك مع رسوله بعزل قتيبة، ونصب وكيع بن أبي أسود التميمي كقائد على جيوش الإسلام الفاتحة في المشرق وطلب الرسول من قتيبة أن ينفصل هو ورجاله عن القيادة وجعل يخوفه مغبة الخروج على طاعة سليمان، فاستجاب وكيع لنداء الحاكم الجاهل سليمان بن عبد الملك وأراد الغدر بقتيبة، وفي الصباح اكتشف قتيبة الخيانة فخطب فيمن بقي معه من الرجال ثم وقع القتال وإذا بسهم أصاب قتيبة فأرداه قتيلاً.

وهكذا أنهى الحاكم الجاهل حياة هذا الرجل القائد الفاتح، وقبره اليوم في فرغانة بموضع يسمى (رباط سرهنك) أي رباط القائد بقرب قرية كاخ أي: القصر.

نعم حكم الأمة الإسلامية وبلادها طواغيت مستبدون لم يكن همهم إلا شهواتهم، وكانوا ينحون عن القدرة من يرون فيه الكفاءة والإخلاص وذلك تقرباً إلى الشيطان وكان هذا من أهم أسباب ضعف المسلمين.

سليمان يأمر بإحراق المرضى

ذكر ابن قتيبة: أن سليمان بن عبد الملك مرّ بالمجذومين في طريق مكة فأمر بإحراقهم وقال: لو كان الله يريد بهؤلاء خيراً ما ابتلاهم هذا البلاء.

هذا وفي الأحاديث انه لا تطيلوا النظر إلى أهل البلاء فإن ذلك يؤذيهم[٦٤].

تبذير بيت المال بيد سليمان

من صفات الطغاة تبذير بيت المال وصرفه على شهواتهم الجنسية وشهواتهم البطنية، يعني: أن همهم فرجهم وبطنهم وليس أكثر، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني: أن سليمان بن عبد الملك أعطى مائة ألف دينار لسعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد لأنه وهب لموسى شهوات جارية قيمتها عشرة آلاف درهم بعدما أنشد فيه موسى شهوات أبيات.

وكان سليمان بن عبد الملك مغرى بالنساء والأكل، قيل: أكل مرة سبعين رمانة وجدياً وست دجاجات وكثيراً من الزبيب ثم نام وانتبه فأتوه بالغداء فأكل على عادته.

وذكر ابن عبد ربه أن سبب هلاك سليمان بن عبد الملك أن نصرانياً أتاه وهو بدابق بزنبيل مملوء بيضاً وآخر مملوء تيناً، قال: قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أتى على الزنبيلين، ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فأكله فأتخم فمرض فمات.

جاء دور يزيد بن عبد الملك

ثم خلف سليمان، يزيد بن عبد الملك، فكان يزيد هو الآخر الذي لا يقل عن سلفه في العنف والإرهاب، بل يزداد عليه غلظة وشدة، ففي التاريخ انه أمر يزيد بن عبد الملك بقتل الأسارى الذي يشهدون الشهادتين، وهم ثلاثمائة إنسان كانوا اسروا في قتال يزيد بن المهلب.

---

[٦٤] في بحار الأنوار: ج٦٢ ص٨٣ ب٢: عن رسول الله ﷺ: «لا تطيلوا النظر إلى المجذوم، وإذا كلمتموه فليكن بينكم وبينه قيد رمح».

وقتل في مجلس تسعة من أحداث آل المهلب أمر بضرب رقابهم.

وصار قتل الأسارى من بعده سنة للولاة والسلاطين الآخرين، فانطبع الإسلام في أذهان الأمم الأخرى أنه دين العنف والقسوة، ودين الجفاء والغلظة، وطالما جاء المستشرقون وعابوا ذلك على الإسلام مع ان الإسلام بريء من أولئك الطغاة وما فعلوه.

يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب

في التاريخ: انه لما وصل يزيد بن عبد الملك إلى الحكم، خلعه يزيد بن المهلب، ونزع يده من طاعته، وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه، فدخل ابن المهلب البصرة وملكها عنوة، وحبس عدي بن أرطاة عامل يزيد بن عبد الملك عليها.

فسرح إليه يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا يشتمل على ثمانين ألفا من أهل الشام والجزيرة، وبعث مع الجيش أخاه مسلمة بن عبد الملك، وكان أعرف الناس بقيادة الجيوش وتدبيرها، وأيمن الناس نقيبه في الحرب، وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك..

فسار يزيد بن المهلب من البصرة، فقدم واسط فأقام بها أياما، ثم سار عنها فنزل العقر، واشتملت جريدة جيشه على مائة وعشرين ألفا.

وقدم مسلمة بجيوش الشام فلما تراءى العسكران، وشبّت الحرب، أمر مسلمة قائدا من قواده أن يحرق الجسور، التي كان عقدها يزيد بن المهلب، فأحرقها.

فلما رأى أهل العراق الدخان قد علا انهزموا.

فقيل ليزيد بن المهلب: قد انهزم الناس.

قال: ومم انهزموا؟ هل كان قتال ينهزم الناس من مثله؟.

فقيل له: إن مسلمة أحرق الجسور فلم يثبتوا.

فقال: قبحهم الله بق دخن عليه فطار.

ثم وقف ومعه أصحابه فقال: اضربوا وجوه المنهزمين، ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه، واستقبله منهم أمثال الجبال.

فقال: دعوهم قبحهم الله غنم عدا في نواحيها الذئب.

ثم قتل يزيد بن المهلب، وقتل معه أخوه محمد بن المهلب، وكذلك قتل اخوه المفضل بن

المهلب.

فلما اجتمع من بقي من آل المهلب بالبصرة بعد الكسرة أخرجوا عدي بن أرطاة عامل يزيد بن عبد الملك على البصرة من الحبس فقتلوه، وحملوا عيالهم في السفن البحرية ولججوا في البحر فبعث إليهم مسلمة بن عبد الملك بعثا عليه قائد من قواده فأدركهم في قنداييل، فحاربهم وحاربوه.

وتقدم بنو المهلب بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، وحملت رءوسهم إلى مسلمة بن عبد الملك وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه، واستؤسر الباقون في الوقعة، فحملوا إلى يزيد بن عبد الملك بالشام وهم أحد عشر رجلا، فلما دخلوا عليه قام كثير ابن أبي جمعة فأنشد:

حليم إذا ما نال عاقب مجملا أشد العقاب أو عفا لم يثرب
فعفوا أمير المؤمنين وحسبة فما تأته من صالح لك يكتب
أساءوا فإن تصفح فإنك قادر وأفضل حلم حسبة حلم مغضب

فقال يزيد أطت بك الرحم يا أبا صخر، لو لا أنهم قدحوا في الملك لعفوت عنهم، ثم أمر بقتلهم فقتلوا، وبقي منهم صبي صغير فقال: اقتلوني فلست بصغير.

فقال يزيد بن عبد الملك: انظروا هل أنبت.

فقال: أنا أعلم بنفسي قد احتلمت ووطئت النساء، فاقتلوني فلا خير في العيش بعد أهلي فأمر به فقتل.

من ولاة يزيد الإرهابيين

كان سعيد بن عمرو الحرشي ـ كما جاء في التاريخ ـ والي خراسان في عهد يزيد بن عبد الملك وكان إرهابياً عنيفاً، فقاتل أهل السغد وقتل أسراهم، فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل وكانوا ثلاثة آلاف ويقال سبعة آلاف، ثم اصطفى أموالهم وذراريهم فأخذ منه ما أعجبه ثم قسم الأموال.

هشام بن عبد الملك ومصادرة الحريات

ولما جاء هشام إلى الحكم، لم يقصّر عن سلفه في العنف والإرهاب، بل ازداد عليه سرفاً وبذخاً، فان من صفات الطغاة كنز الأموال والإسراف في التجمل، من الثياب والقصور وما أشبه.

ومن المعلوم: أن الأموال لا تجتمع عند أحد إلا بعد منع الحقوق، والاستبداد بالفرص، ومصادرة حريات الآخرين في التجارة والعمران، والبيع والشراء، وغير ذلك، وكان هشام في هذا المجال كما قال الأصبغ بن الفرج: لم يكن في بني مروان من ملوكها أعطر ولا ألبس من هشام، خرج حاجاً فحمل ثياب طهره على ستمائة جمل ودخل المدينة بها.

وقيل: إن هشام بن عبد الملك ترك بعد موته اثني عشر ألف قميص وشيٍ، وعشرة آلاف تكة حرير، وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار، ولم تأتِ دولة بني العباس إلا وجميع أولاده فقراء، لا مال لواحد منهم، وبين دولة بني العباس ووفاة هشام سبع سنين.

وكانت أملاك هشام الخاصة تصل إلى حد الملايين، فقد ذكر في تاريخ الطبري أن هشام كتب إلى خالد بن عبد الله واليه على العراق: لا تبيعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت الكيلجة درهماً.

وكانت تبلغ غلة خالد بن عبد الله عشرين ألف ألف، فكيف بغلة هشام التي كانت تباع قبل جميع الغلات.

وقال مخزم (كاتب يوسف بن عمرو والي العراق): بعثني يوسف بن عمرو بياقوتة حمراء تخرج طرفاها من كفي، ولؤلؤ حبة أعظم ما يكون من اللؤلؤ، فدخلت عليه، فدنوت منه فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرش، فتناول الحجر والحبة، فقال هشام: اكتب معك بوزنهما.

قلت: يا أمير! هما أجل من أن يكتب بوزنهما، من أين يوجد مثلهما.

قال: صدقت، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار.

وهكذا كانوا يبذّرون أموال بيت المال، ويصرفونه في تأمين نزواتهم، وإشباع غرائزهم، مع ان الإسلام جعلها لتأمين مصالح المسلمين، وسد حاجياتهم، وكم في هذا وأمثاله تشويه لسمعة الإسلام وتأخير لحياة المسلمين؟

تسليط بعض الظالمين على بعض

جاء في التاريخ: أن الترك حاصرت مدينة برذعة من أعمال آذربيجان في أيام هشام بن عبد الملك حصارا شديدا، واستضعفتها وكادت تملكها، وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشي من قبل هشام بن عبد الملك في جيوش كثيفة، وعلم الترك بقربه منهم فخافوا، وأرسل سعيد واحدا من أصحابه إلى أهل برذعة سراً، يعرّفهم وصوله ويأمرهم بالصبر خوفا ألا يدركهم، فسار الرجل ولقيه قوم من الترك، فأخذوه وسألوه عن حاله فكتمهم، فعذبوه فأخبرهم وصدقهم.

فقالوا: إن فعلت ما نأمرك به أطلقناك وإلا قتلناك.

فقال: ما تريدون؟

قالوا: أنت عارف بأصحابك ببرذعة وهم يعرفونك، فإذا وصلت تحت السور فنادهم: إنه ليس خلفي مدد، ولا من يكشف ما بكم، وإنما بعثت جاسوسا.

فأجابهم إلى ذلك فلما صار تحت سورها وقف حيث يسمع أهلها كلامه وقال لهم: أتعرفونني؟

قالوا: نعم، أنت فلان بن فلان.

قال: فإن سعيدا الحرشي قد وصل إلى مكان كذا في مائة ألف سيف وهو يأمركم بالصبر وحفظ البلد وهو مصبحكم أو ممسيكم، فرفع أهل برذعة أصواتهم بالتكبير، وقتلت الترك ذلك الرجل ورحلوا عنها، ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين.

وهكذا ضحّى هذا الرسول بنفسه ونجّى أمته من القتل والسبي، بينما يضحّي الحكام الطغاة بالأمة لبقائهم وحفظ مصالحهم الشخصية العابرة.

مع مجون الوليد بن يزيد بن عبد الملك

جاء في التاريخ: أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان كبقية بني أمية وبني مروان من الفسقة الفجرة وقد اتخذ ندماء، فأراد هشام أن يقطعهم عنه، فولاه الحج سنة مائة وتسع عشرة هجرية، فحمل الوليد معه كلاباً في صناديق، فسقط منها صندوق عن البعير وفيه كلب، فأجالوا على الكريّ السياط فأوجعوه ضرباً، وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة، وحمل معه خمراً، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها، فخوفه أصحابه وقالوا: لا نأمن الناس عليك ولا علينا معك، فلم يحرّكها، وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام.

وفي التاريخ أيضاً: انه واقع جارية يوماً وهو سكران، فما تنحى عنها حتى آذنه المؤذن بالصلاة، فحلف ألا يصلي بالناس غيرها، فخرجت متلثمة فصلت بالناس.

ومما جاء في التاريخ عن الوليد بن يزيد: انه تفأل بالمصحف الشريف يوماً فخرج قوله تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾[٦٥] فرمى المصحف من يده وأمر أن يجعل هدفا ورماه بالنشاب وأنشد:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

القسري أحد عمال هشام

إن العمال والولاة الذين كانوا يمثلون الحكام في البلاد، كانوا كالحكام أنفسهم طغاة مستبدين، وفجرة مستكبرين، لا يعرفون للدين حرمة، ولا لأهله كرامة، ويسخرون حتى من الأنبياء والأولياء، قال ابن الأثير في حوادث سنة تسع وثمانين: في هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة، فخطب أهلها، وقال:

أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أو رسوله إليهم؟ والله لم تعلموا فضل الخليفة... إن ابراهيم خليل الرحمن استسقاه فسقاه ملحاً أجاجاً، واستقى الخليفة فسقاه عذباً فراتاً ـ يعني بالملح الاجاج: زمزماً، وبالفرات العذب: بئراً حفرها الوليد ـ وكان خالد ينقل ماء البئر التي حفرها الوليد ويضعها في حوض إلى جنب زمزم، ليعرف فضله على زمزم، فغارت البئر وذهب ماؤها.

---

[٦٥] سورة إبراهيم: ١٥.

وقال صاحب الأغاني: إن خالداً هذا كان يسمي ماء زمزم أم الجعلان، وأنه صعد المنبر وقال: إلى كم يغلب باطلنا حقكم؟! أما آن لربكم أن يغضب لكم.. لو أمرني الأمير نقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام.. والله إن الأمير أكرم على الله من أنبيائه.

ثم قال صاحب الأغاني: كان خالد زنديقاً وأمه نصرانية، فكان يولّي النصارى والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بإمتهانهم وضربهم، وقد أباح للنصارى أن يشتروا الجواري المسلمات وينكحوهن.

مع الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام

قال هشام لزيد الشهيد عليه السلام في لقاء تمّ بينهما: إنه بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك لأنك ابن أمة.

فقال زيد: إن لك جوابا.

قال: تكلم.

قال: إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه وهو: إسماعيل بن إبراهيم، وهو ابن أمة قد اختاره الله لنبوته، وأخرج منه خير البشر.

فقال هشام: فما يصنع أخوك البقرة؟

فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه ثم قال: سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الباقر وتسميه أنت البقرة، لشد ما اختلفتما، لتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا، فيرد الجنة وترد النار.

فقال هشام: خذوا بيد هذا الأحمق المائق فأخرجوه، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه.

فقال هشام: احملوا هذا الخائن الأهوج إلى عامله.

فقال زيد: والله لئن حملتني إليه لا أجتمع أنا وأنت حيين وليموتن الأعجل منا.

فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام، فلما فارقوه عدل إلى العراق ودخل الكوفة وبايع لنفسه، فأعطاه البيعة أكثر أهلها، والعامل عليها وعلى العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكان بينهما من الحرب ما هو مذكور في كتب التواريخ، وخذل أهل الكوفة زيدا وتخلف معه ممن تابعه نفر يسير، وأبلى بنفسه بلاء حسنا وجاهد جهادا عظيماً، حتى أتاه سهم غرب فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه،

فحين نزع منه مات عليه السلام.

ثم بعد موته صلبوه وبعد صلبه حرقوا جثمانه، ثم ذروا رماده في الهواء.

وهكذا كان حكام بني أمية وبني مروان يعاملون بني هاشم وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله والعلماء والصلحاء والأعيان والأشراف من الناس، ويتجبرون في بطشهم بهم وبكل من يعارضهم ولو بكلمة كما قال تعالى: ﴿واذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[٦٦].

خروج الحسنيين ضد الطغاة

كان من أباة الضيم ومؤثري الموت على الحياة الذليلة: محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولما أحاطت عساكر عيسى بن موسى بمحمد وهو بالمدينة قيل له: أنج بنفسك فإن لك خيلا مضمرة ونجائب سابقة فاقعد عليها والتحق بمكة أو باليمن.

قال: إني إذاً لعبد، وخرج إلى الحرب يباشرها بنفسه وبمواليه.

فلما أمسى تلك الليلة وأيقن بالقتل أشير عليه بالاستتار، فقال: إذن يستعرض عيسى أهل المدينة بالسيف فيكون لهم يوم كيوم الحرة، لا والله لا أحفظ نفسي بهلاك أهل المدينة، بل أجعل دمي دون دمائهم.

نعم، هكذا يكون بنو هاشم، والصالحون من نسلهم، أباة الضيم، سراة النفس، يجودون بأنفسهم، ويضحّون بحياتهم، من أجل حياة الآخرين وضمان سلامتهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية.

رابع الحكام الأمويين في الأندلس

إن عبد الرحمن الحكم، رابع حكام الأندلس من البيت الأموي كان له ابنان كبيران: محمد وعبد الله، وكانا يتنافسان على ولاية العهد، ومع أن عبد الرحمن أبوهما قبل موته كان قد وقع اختياره على محمد ورشحه للولاية من بعده، إلا أن أخاه الأصغر عبد الله كان طامعاً في الخلافة، وكانت تشجعه على ذلك أمه، واستخدمت ما في وسعها من المكر والخداع في

---

[٦٦] سورة الشعراء: ١٣٠.

سبيل ذلك، فكانت هناك جارية جميلة أحبها الحاكم عبد الرحمن وفضلها على بقية الجواري، فاستخدمت هذه لكي تجعل ولاية العهد لابنها عبد الله، واستعانت أيضاً على ذلك بفتى اسمه نصر، وكان نصر هذا أقرب خدم الحاكم عبد الرحمن إلى نفسه.

لقد بلغ بهذه الأم الأمر إلى درجة أن دبرت مع نصر قتل عبد الرحمن بالسم، ولكنه اكتشف المؤامرة وأرغم نصر على شرب السم الذي أعده له فشربه ومات.

وكان عبد الله بعيداً عن صفات الحكام المدبّرين، إذ كان كثير اللهو واللعب، مدمناً على شرب الخمر والسكر، مولعاً باللعب بالجواري والقيان، والفجور والفساد، وكان قد أرصد عيوناً على أبيه بالقصر ليوافوه بالأخبار أولاً بأول، حتى انه إذا جاء الخبر بموت أبيه، كان هو أسرع من أخيه محمد إلى دخول القصر وجلوسه على العرش.

ثم انه أخذ ينشر الأموال على من في البلاط من الخدم والفتيان والمغنيات ومن أشبههم ليعاونوه على مآربه، وكان قد اتفق أيضاً مع بعض خواص والده على ذلك.

فلما مات عبد الرحمن أسرع إليه المتعاونون معه ليبلغوه الخبر، وأرسلوا له خاتم أبيه، وكانت هناك جارية يحبها الحاكم عبد الرحمن، فكان يبعث في طلبها بالليل ليأنس بها، وقد عرفها الخدم البواب بهيئتها والخادم الذي يأتي بها في الغالب، فبدا له أن يخرج بهيئة تلك الجارية حتى يفتح له البوابون الباب دون صعوبة، وهكذا دخل على وجه أبيه الذي قد مات قبل لحظات، وأسرع الخازن فسلمه مفاتيح الخزائن، وبايعه رجال القصر بالتهديد والترغيب، والوعد والوعيد، وبعث الحاكم الجديد إلى أخيه محمد وبقية أخوته فبايعوه وكذلك كبار رجال الدولة، فلم يطلع الفجر حتى كانت البيعة قد تمت له، وأخذ بعد ذلك بالفساد والافساد، والاستبداد والدكتاتورية، والقتل والتبعيد، والسجن والتعذيب، ونشر المفاسد والمظالم في طول البلاد وعرضها، حتى سقطت دولتهم، وذهبت ريحهم وشوكتهم.

ومن الواضح: أن الدولة لا تسقط إلا بعد أن تمر بسلسلة من هذه الأمور الموهنة، والأخلاق الفاسدة، المؤدية إلى الضعف والتقهقر، فان الحكام الفاسدين قد صدّوا بتصرفاتهم الظالمة الإسلام عن انتشاره، والمسلمين عن طريق تقدمهم.

مراسلة طاغوتين: أموي وعباسي

كتب عبد الحميد بن يحيى، عن مروان بن محمد، إلى أبي مسلم كتابا حُمل على جمل

لعظمه وكثرته، وقيل: إنه لم يكن في الطول إلى هذه الغاية، وقد حمل على جمل تعظيما لأمره وقال لمروان بن محمد: إن قرأه خاليا نخب قلبه وإن قرأه في ملأ من أصحابه ثبطهم وخذلهم.

فلما وصل إلى أبي مسلم أحرقه بالنار ولم يقرأه وكتب على بياض كان على رأسه وأعاده إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغة وانتحت إليك ليوث الغاب من كل جانب
فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة يهون عليها العتب من كل عاتب

ويقال: إن أول الكتاب كان لو أراد الله بالنملة صلاحا، لما أنبت لها جناحا.

من وصايا الطغاة: الإرهاب

ومما يذكر عن العباسيين في التاريخ: أن وصايا أول حكام بني العباس . إبراهيم الإمام . وكتبه كانت ترد إلى أبي مسلم بخراسان وفيها ما يلي:

إن استطعت ألا تدع بخراسان أحدا يتكلم بالعربية إلا وقتلته فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار، فأبد خضراءهم، ولا تدع على الأرض منهم ديارا.

أبو مسلم في طلب المقام والملك

كان أبو مسلم الخراساني شاباً متهوراً في مقتبل عمره، وكان يهوى المقام والملك، ويفكر في الوصول إليه، ويعمل من أجل تحقيقه، وقد كرس حياته لذلك، حتى استطاع أن يقود جيشاً عرمرماً، يزحف به من خراسان، على مناطق الحكم الأموي، ويستخلصها لنفسه، ويقيم على أنقاض ذلك الحكم البائد، الحكم العباسي الجديد.

ومما روي في ذلك: انه قيل لأبي مسلم في أيام صباه: نراك تنظر إلى السماء كثيرا كأنك تسترق السمع أو تنتظر نزول الوحي.

قال: لا ولكن لي همة عالية، ونفس تتطلع إلى معالي الأمور، مع عيش كعيش الهمج الرعاع، وحال متناهية في الاتضاع.

قيل: فما الذي يشفي علتك ويروي غلتك؟

قال: الملك.

قيل: فاطلب الملك.

قال: إن الملك لا يطلب هكذا.

قيل: فما تصنع وأنت تذوب حسرة وتموت كمدا؟

قال: سأجعل بعض عقلي جهلا وأطلب به ما لا يطلب إلا بالجهل، وأحرس بالباقي ما لا يحرس إلا بالعقل، فأعيش بين تدبير ضدين، فإن الخمول أخو العدم، والشهرة أخت الكون.

مع الهادي العباسي

كان دور بني العباس في تشويه الإسلام وتأخر المسلمين، كدور بني أمية، إذ كانوا أيضاً حكاماً ظالمين، يتصرفون باستبداد، ويعبثون بالبلاد والعباد، ويعيثون في الأرض الفساد والدمار، وفي القصة التالية عرض لنموذج من أولئك المستبدين، ومن ذلك الاستبداد:

قيل: انه عندما هلك الرجل العباسي الثالث محمد بن عبد الله المنصور، الملقب بالمحبس سنة مائة وتسع وستين هجرية، قام مكانه ابنه موسى، الرجل الجاف الملقب بالهادي، وكان في غاية الغلظة والسفاهة، وكان عمره آنذاك أربعاً وعشرين سنة، وهو صاحب قصة فخ المشهورة، وأول ما حكم عرف الناس أن الأمر قد تبدل إلى الأسوء، ورأوا أنفسهم أمام شاب قاس القلب، جريء على الدماء، لا يعرف للدين حرمة، ولا للإنسان كرامة، متسرع في التصرف عن شهوة وهوى، وبظلم وقسوة.

وقد كان في الجسم ضخماً بديناً، وكان مولعاً بكثرة شرب الخمر، وحريصاً على مخادنة النساء والجواري، ولذا عم الخوف في نفوس الناس، وهابوا جبروته واستبداده، فأخذوا يسايرونه في ما يخطر بباله حذراً من بطشه، وكان أخوف الناس منه أمّه: الخيزران بنت عطاء، وهي جارية كانت تنسب إلى بلاد اليمن، لأنها ولدت في اليمن، ثم صارت إلى المهدي فيما صار إليه من أسلاب حاكم طبرستان عندما ثار عليه، ثم قضى عليه المهدي قضاءً وحشياً غريباً.

هذا وكان الفرق في السن بين الأخوين الاثنين: الهادي وهارون، قليلاً جداً، بينما كان

الفرق بينهما في الخلق الظاهري كبيراً جداً، فبينما كان الهادي ظاهر العنف والقساوة، كان هارون ظاهر اللين والرفق، منطوياً على الخداع والمكر، وهارون هذا هو الذي قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، فان هارون كان على درجة عالية من القساوة والفضاضة، وكانت الخيزران امرأة ذكية، وقد تعلمت الكثير من الشؤون السياسية وأمور الدولة أيام زوجها المهدي، وكان زوجها يستشيرها في الأمور فتشير عليه بالرأي فيأخذ به، وكانت قد وثقت مكانتها لدى الوزير يحيى بن خالد البرمكي، الذي هو أيضاً كان رجلاً خداعاً غارقاً في الدنيا وملذاتها، فعظم مكانها في الدولة، وصارت تتظاهر بالخضوع للناس وتقضي حاجاتهم لتكسب قلوبهم، وصار جناحها في القصر محط الأنظار، ومجمع كبراء الناس يزورونها ويجدون منها كل بر وكرامة، مما لم يكن إلا إسرافاً وتبذيراً لأموال المسلمين في الفساد والإفساد، ومن أول الأمر شعر موسى الهادي بالغيرة من أخيه هارون وكان يحس أن الناس يقدرونه أكثر منه.

التنافس على الحكم

وكان هارون محتالاً غريباً يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر، وكانت الخيزران في لهفة على ابنها هارون فخافت عليه من أخيه، وقد بدأ يفكر الهادي في خلع أخيه هارون عن ولاية العهد حتى تصير الأمور لابنه (ابن الهادي) وكان صبياً صغيراً يسمى باسم جعفر، فتحدث بالأمر إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكي فنصحه بالعدول عن هذه الفكرة، فغضب عليه وأمر به إلى السجن، فلبث فيه زماناً، وبلغ من غضبه عليه أن هم بقتله وأخذ يعذبه في السجن.

فلما بلغ هذا الأمر إلى أمه الخيزران، أشفقت على ابنها هارون ونصحته بأن يصانع أخاه الهادي ويستجيب له إذا هو طلب إليه التنازل عن ولاية العهد، وأرادت الخيزران بذلك أن تبعد هارون عن أخيه الهادي جملةً، فنصحته بأن يستأذن أخاه في السفر إلى المشرق للصيد، فأذن له، فلما استأذنه فرح بذلك وأجابه إلى ما طلب وأعطاه مليوناً ونصف المليون من دنانير بيت مال المسلمين، فابتعد هارون عن أخيه الهادي.

لكن تبيّن للهادي بعد ذلك أن ابتعاد أخيه لم يكن في صالحه، وأحس أن أمه الخيزران تدعو الناس إلى أخيه وترعاه على البعد، فانصرف غضبه نحوها وخاصة لما رأى بابها عامراً بكبراء الرجال والقادة وأن الرجلة لا تنقطع عنها، فدبر في نفسه أمراً وخطر بباله أن يزيحها

عن الميدان، فاتخذ من زيارة رجال الدولة والقادة لها ذريعة، ومر إلى جناحها ذات اليوم وقال لها: ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك؟ أما لك بغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك، أو بيت يصنك؟ لأن بلغني أنه وفد على بابك أحد لأضربن عنقه، فأدركت الخيزران أن المعركة قد بدأت، وأن ابنها لن يكتفي بذلك وهو غاضب لمكانتها من جهة، وحاقد عليها لتفضيلها هارون عليه من جهة أخرى، كما وعلمت أنها إذا لم تبادره كانت هالكة لا محالة.

وأحكمت المرأة الغدارة أمرها، وفي ليلة النصف من ربيع الأول سنة مائة وسبعين هجرية دخل الهادي العباسي جناحه، واختلى بجواريه ومضى يسهر معهن ويشرب الخمر ويعبث بهن، فأكل وشرب حتى سكروا واسترخى بدنه وراح عقله..

وفي منتصف الليل عندما سكنت الحركة، دخلت جاريتان قويتان من جواري خيزران تحملان وسادتين، واقتربت أحدهما من الحاكم الشاب الغارق في السكر والنوم، والمستولي عليه الضعف من جهة كثرة الشرب والشهوة، فوضعتا الوسادة على فمه حتى خمدت أنفاس موسى الهادي، وهناك نجحت مؤامرة الأم بقتل الولد، فتنفست الخيزران الصعداء على خلاصها وابنها هارون من كيد الهادي.

جاء دور هارون

ثم جاء بعد ذلك دور هارون، فبدأ بالظلم والجور، والاستبداد والدجل، والقتل والتعذيب، حتى قتل في ليلة واحدة ستين علوياً، كما قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالسم بعدما سجنه أكثر من عشر سنوات.

وهكذا كانت حياة الأخوين المنحرفين الهادي وهارون سلسلةً من التبذير والإسراف، والقتل والتعذيب، والخمور والفجور بما هو مذكور في التاريخ، مما يعكس على الإسلام عارهما وشنارهما، وعلى المسلمين ظلمها وجورهما.

سلاطين آل عثمان

ومن الذين حكموا البلاد الإسلامية وأساؤوا في حكمهم: سلاطين آل عثمان، الذين بدؤوا حكمهم بأمارة صغيرة ثم أصبحت أكبر إمبراطورية على وجه الأرض وانتهت بالزوال وإلى اليوم، فقد عاشت الدولة العثمانية التي بلغت من العمر سبعة قرون على نحوين:

فالأول كان قوةً وصعوداً وذلك نظراً لقوة الإسلام ومبادئه.

والباقي كان ضعفاً وهبوطاً، وتفككاً وانحلالاً، لضعف شخصياتهم وتحللها، وقد بلغ هذا الانحلال والتفكك في القمة سنة ألف ومائتين واثنين وتسعين هجرية، وذلك عندما خلف السلطان عبد الحميد سلفه السلطان عبد المجيد.

وكان عبد الحميد آنذاك شاباً في الثالثة والثلاثين من العمر، وقد تفاءل بعض الناس بمقدمه، وظنوا أنه بحكمه ستكون نهاية عصور الآلام، وبداية عصور الآمال لدولة آل عثمان.

بداية حكم عبد الحميد

وأخذ يتظاهر عبد الحميد الثاني في بداية حكمه . وكان يلقب بلقب: خاقان البرين والبحرين وحامي الحرمين . ببداية طيبة، فأعلن عن إصلاحاته الواسعة، وأنه سيعمل بالكتاب والسنة حسب ما عمله الرسول ﷺ، وقال: أنه سيركز على دولة واسعة تشمل بلاد المسلمين كلها ويحكم فيها بالحكم الاستشاري العادل، وأنه سينشر الرخاء في بلاده، وسيساوي بين رعاياه، ويعود إلى أحكام الإسلام بدون حيف وميل، وقتل وتعذيب، وما أشبه ذلك مما كان عليه من قبله من خلفاء آل عثمان، وأصدر مشروع القانون الجديد، وأذن في إقامة رقابة صحيحة على مالية الدولة، وأمر بتسديد الديون حيث أن السلاطين العثمانيين كانوا يصرفون الأموال في شهواتهم بغير حساب، ونظر في أمر الجيش مريداً تنظيمه وترتيبه، ثم أعلن قانون الحريات، وإقامة مجلس النواب لتمثيل كافة القوميات، واتجه في حكمه اتجاهاً صحيحاً تجاه مختلف القوميات الذين كان يحكمهم ومنهم العرب وغير العرب، ودعى الجميع إلى التعاون.

ولكن ذلك كله كان تظاهراً وبدايةً، فكان عبد الحميد يدبر الأمور في الخفاء تدبيراً

استبدادياً، حيث انكشف بعد ردح من الزمن أنه طاغية لم يسبق له مثيل في تاريخ آل عثمان..

فقد أخذ بالجور على جميع مستشاريه ورعاياه، وألغى دور المستشاريين، ثم ألغى الدستور وأخذ يحكم بالحديد والنار، وأقام حكمه على التجسس والتعذيب، والسجن والقتل، والعنف والإرهاب، وثقلت وطئته على الفلاحين والمزارعين، والعمال والكادحين، وعلى سائر أفراد الشعب، فقل وارد الدولة من المال، ثم مع ذلك كله كان يصرف الأموال الطائلة على شهواته وملذاته، في قصوره وبين جواريه، حتى أنه كان يفرش في قصوره سبعمائة مائدة لزوجاته وإمائه، وأخذ يقترض المال من الدول الأوروبية.

ثم اتخذ لنفسه حرساً قوياً وملأ قصوره بالجواسيس، حتى كان أهل القصر لا يجرئون على الكلام خشية أن يصل الخبر للسلطان فلا يكون هناك محيص من الموت، ولقد قتل في حكمه مائة من أهل القصر من الرجال والنساء، واشتدت وطأته على الجيش وضباطه، وكان يقتل الناس بالشبهة والظنة، وكان كثيراً ما يذبح الناس بيده، أو يخنقهم بالحبل، أو بتغطية انفه وفمه بما يمنعه من التنفس حتى يموت، وبعد القتل كان يلقي به في مياه البحر، وبلغ من كثرة من ألقى في مياه بحر البسفور من الجنود الأبرياء والعلماء وسائر الناس أن الأتراك أضربوا عن أكل السمك، لأنها كانت تتغذى على أبدان أبنائهم المساكين، واستمر الأمر على ذلك زمناً طويلاً.

المستبدون خائفون

وبما أن المستبد والدكتاتور يخاف على نفسه يوماً بعد يوم أكثر من قبل، كان عبد الحميد قد بنى لنفسه في قصوره نحو مائة غرفة مجهزة بكل شيء، وكان ينام كل ليلة في واحدة منها دون أن يعلم به أحد، وذلك حفظاً لنفسه عن محاولات الاغتيال والمؤامرات التي تريد قتله والقضاء عليه، كان يفعل ذلك حتى لا يعرفوا مكانه بالضبط، وتحت ستار الخوف أخذت تتألف في الجيش مجموعة صغيرة من الضباط، وفي الشعب مجموعات صغيرة من سائر الناس بهدف تحرير بلادهم من هذه الطاغية.

وعندما خاف الضباط من جواسيس السلطان انتقل رؤساؤهم إلى البلاد الغربية، ومن هناك أعلنوا عن تأسيس حزب الاتحاد والترقي، وذلك تحت شعار: توحيد بلاد الدولة

العثمانية التي أوهنتها الثورات والخلافات، ومنح الناس حرياتهم، وإعطاء حقوقهم، فأعلن الحزب برامجه لبناء دولة عثمانية تواكب العصر وبمنظمة قوية، وقد أنشأت هذه الجمعية أولاً في جنيف، وذلك بعد مرور خمسة عشر عاماً من مجيء عبد الحميد إلى الحكم، ثم انتقلت إلى باريس، ومنها إلى سالونيك، وكانت سالونيك مركزاً من مراكز الجيش الكبرى، وفيها قاعدة عسكرية كبيرة، فلم يجرأ السلطان على إيذاء أعضاء لجنة الاتحاد والترقي، لأن الجيش في سالونيك كان يؤيدهم، وإنما قتل من قتل منهم غيلةً.

وقد ضمت هذه اللجنة إلى جانب الضباط عدداً كبيراً من المحامين والأطباء، والمهندسين والمثقفين، وأخذت دعوة حزب الاتحاد والترقي تنتشر يوماً بعد يوم في مختلف صفوف رجال الجيش، وانتقلت من سالونيك إلى معسكر في مقدونيا، والى معسكر قرب الأستانة..

ولم تلبث الجمعية أن أسفرت عن وجهها، فأنذرت السلطان بالعزل إذا هو لم يغير سياسته، وطالبته بتنفيذ دستور كان مدوناً قبل ذلك، فتظاهر عبد الحميد بالاذعان لمطالب الحزب، ووعد بتطبيق الإسلام، وبإعطاء الحريات للشعب، فأعلن الدستور والبرلمان، وأنشأ مجلس النواب وأعلن أنه سينهي حكومة الجواسيس، وقال: إنه يؤيد الأحرار وأراد أن يستأصل فتنة العرب والأتراك من رعايا الدولة، فزاد من ميله إلى العرب، وأعلن عن إقامة الجامعة الإسلامية حسب ما اقترحه جمال الدين الأفغاني، كما لجأ إلى محاولات ماكرة أراد بها أن يحافظ على عرشه، ويفرّ بها من العمل بالإسلام وبحرياته الواسعة.

فعندما تصور الرجل أنه خدع الجميع عاد إلى عهده القديم، وأعلن منع ما أمره به أولاً، فأوقف الدستور وحل البرلمان وأعاد السجون، والقتل والتعذيب.

فكان عبد الحميد يفعل كل ذلك وهو يحسب أنه أكبر قوة في الدنيا، ولا يستطيع أن يناله أحد، حيث كان يقول للناس: إنه الخليفة والحاكم بأمر الله عزوجل، ولا يشير على أحد بأي شيء إلا وجب امتثاله لأنه خليفة رسول اللهﷺ، وانه يلزم على الناس اعتباره كرسول الله ﷺ من غير حساب، وغافلاً عن أن الرسول الأعظم ﷺ كان أيضاً مأموراً بالاستشارة حيث قال سبحانه: ﴿وشاورهم في الأمر﴾[٦٧].

عبد الحميد ونهاية حكمه

[٦٧] سورة آل عمران: ١٥٩.

نعم أخذ عبد الحميد يستمر في ظلمه وجوره وكان قد أمن إلى نفر من جواسيسه وحراسه، وجواريه وخدمه، وقد لجأ يوماً إلى جناح في القصر يتحصن فيه حاسباً أن أحداً لا يعلم به أين يكون، ولكن الأمر خانه وتغيّر عليه حتى حواشيه وجواسيسه، وزوجاته وجواريه، وخدمه وعبيده، فلما جنّ عليه الليل في يوم من أيام عام ألف وثلاثمائة وخمسة وعشرين هجرية ذهب السلطان الجاني إلى حصنه الخفي واطمئن فيه وكانت من عادته أن ينام في منتصف الليل، ولما أراد النوم سمع أصواتاً ووقع أقدام فوقف خائفاً وتساءل: ما هذا؟

قالت زوجته: لا أدري يا مولاي، وقبل أن يتحرك انفتح الباب بكل عنف وظهرت جماعة من الضباط وقال من كان في مقدمهم بغرور وعنف: عبد الحميد خان انا قد خلعناك عن السلطة والخلافة.

فهددهم عبد الحميد وقال: لا تهينوا سلطانكم.

فقالوا له: كنت سلطاننا قبل ذلك ولكنك الآن مخلوع.

وبعد ذلك بايع الضباط محمد رشاد الخامس.

وهكذا خلعوا عبد الحميد وسجنوه بعد ثلاث وثلاثين سنة من الإرهاب، وكان خلعه في منتصف تلك الليلة المذكورة، وهؤلاء السلاطين من آل عثمان الذين ختم سلسلتهم السلطان عبد الحميد خان، كانوا من أهم أسباب ضعف المسلمين، حيث حكموا البلاد بالظلم والاستبداد، كما شوهوا سمعة الإسلام عند الغربيين وغيرهم، وقد كتبت كتابين[٦٨] حول حكومة آل عثمان، وذكرت فيهما بعض التفصيل لما سببوه من سقوط المسلمين، وتشويه الإسلام، واستيلاء الغربيين على بلاد المسلمين من ذلك اليوم والى هذا الحين، وهناك قصص غريبة يتحير منها الإنسان، نذكر قصة واحدة منها:

القانوني وملكات الجمال

كانت هناك كما في التاريخ امرأة مشهورة بالجمال في إيطاليا تسمى باسم: (جوليا) وهي الأرملة الإيطالية الشهيرة، التي عاشت بين عام تسعمائة وثمان وعشرين، و تسعمائة وأربع وثمانين هجرية، وكانت تعرف بلقب أجمل زهرة في الغرب من حيث الجمال كملكة

[٦٨] كتاب (موجز عن الدولة العثمانية) و(تلخيص تاريخ الإمبراطورية العثمانية).

الجمال في هذا اليوم، حتى أن السلطان العثماني سليمان القانوني طمع فيها، وعزم على أن يضمّها في قصره إلى بقية جواريه اللاتي ملأن قصره بلا حساب، وحيث انه احتمل أن لا يحصل على موافقتها، عزم على خطفها.

قام القانوني بنفسه لإنجاز ما عزم عليه، فعبأ البحرية التركية وكان قوامها ألف سفينة وأرسلهم برجاله إلى إيطاليا للحصول على تلك المرأة واختطافها حتى وان سبب ذلك لهم الحرب وسفك الدماء وقتل الأبرياء، فنزل الأتراك على اليابسة ليلاً وتوجهوا مباشرة نحو القصر الذي كانت تلك المرأة تعيش فيه، ومن سوء حظ القانوني يضل قائد البحرية طريقه، فيسأل صبي الإصطبلات عن طريق القصر، فيلتفت الصبي إلى المؤامرة، وفور التفاته امتطى الصبي جواداً وأسرع يعدو إلى القصر، فوصل إليه قبل الأتراك وأيقظ تلك المرأة التي كانت نائمة، وحملها على جواده وفر بها من المعركة إلى حيث الأمان، وبهذا أنقذ هذا الصبي الشجاع المرأة، وخيّب مساعي السلطان وردّه خاسراً فاشلاً.

وأما المرأة المغرورة فانها من جفائها على ما يذكر أنها بعدما أنقذها الصبي من الاختطاف وأنقذ حياتها أمرت وبكل وحشية في صباح اليوم التالي بقطع رأسه، ونفّذ الأمر على الفور، وانطبق عليه الحكمة المعروفة: (اتق شر من أحسنت إليه).

وهكذا تكون النفوس الصغيرة التي لا إيمان لها بالله واليوم الآخر، فإنها تصبح حقودة وبلا سبب.

وكيف كان: فإن حاكماً مستهتراً كهذا، الذي لا يفكر إلا في شهواته، هل يستطيع أن يفكر في شعبه، أو في نشر الإسلام، كيف وهو وأعماله عار على المسلمين؟

مصر ونهاية بني أيوب

في صباح يوم الاثنين من سنة ستمائة وثمانية وأربعين هجرية قام أربعة من زعماء المماليك البحرية بقتل السلطان توران شاه ابن الملك الصالح أيوب، وانتهى بذلك عصر دولة بني أيوب في مصر، وقد سبب قتل توران شاه موقفاً حرجاً وخطراً، إذ كان لابد من ملك يدير البلاد والعباد، والمماليك الذين قتلوا السلطان لا يزيدون عن كونهم مماليك أو خدماً للدولة وسلطانها ولا يمكن لهم أن يحكموا البلاد، ومن هنا كان المقترح أن يصير ملك مصر واحداً

من أمراء البيت الأيوبي في الشام، وكان أكثرهم حظاً الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الطاهر ملك حلب، ويليه صاحب الكرك، وبالفعل طُلب من الناصر يوسف ان يستعد للسير إلى مصر، ولم يكن المماليك البحرية مستعدين لقبوله سلطاناً على مصر، لأنهم قتلوا ابن عمه توران شاه، فانه لو دخل مصر لكان أول ما يفعله هو قتل رؤساءهم الذين قتلوا السلطان، وبينما كانوا في حيرة من أمرهم إذ بدرت بينهم البادرة التالية:

حكومة شجرة الدر

نهضت فيهم «شجرة الدر» وهي امرأة أرملة الصالح أيوب وأم توران شاه وأقنعتهم بأن تكون هي الملكة على البلاد، وذلك تعبيراً عن احترامهم للبيت الأيوبي، وأشارت بأن يكون اسمها الرسمي: والدة الخليل، وهو ابن للصالح أيوب أنجبته «شجرة الدر» ومات في حياة أبيه، إضافة إلى أنهم كانوا يستطيعون إقامة واحد من كبار المماليك أتابكاً بيناً للسلطنة، حتى يرى الناس أن الملك ما يزال بيد رجل.

تم هذا الترشيح والانتخاب الفردي الاستبدادي فعلاً، وأخذت البيعة للسلطانة الجديدة، وذلك في اليوم العاشر من شهر صفر سنة ستمائة وثمانية وأربعين هجرية، وتولى العرش امرأة اسمها: «شجرة الدر» والدة الخليل وصارت ملكةً للمسلمين، وباستثناء «رضية الدين» سلطانة الدلفى فيما بين سنة ستمائة وثلاث وثلاثين، وستمائة وسبع وثلاثين هجرية، تعتبر «شجرة الدر» أول سلطانة مسلمة ترأّست حكومة المسلمين، وتربعت على عرش دولة إسلامية، وهناك أيضاً بعد ذلك يأتي دور أم الخليفة العثماني حيث صارت هي أيضاً ملكة في قصة طويلة.

وعلى أي حال: فان أحسن وصف لأخلاق السلطانة الجديدة: «شجرة الدر» هو قول بعضهم: أنها كانت امرأة صعبة الخلق، شديدة الغيرة، قوية البأس، ذات شهامة زائدة، سكرى من خمر التيه والعجب، وهي بعقليتها الأنثوية الضعيفة منحرفة، أخذت تدير البلاد إدارةً منحرفة، غير أن الناس في مصر غضبوا من أن تملكهم امرأة، ورفض أيضاً الحاكم العباسي المستنصر، الاعتراف بها، فلجأت هذه المرأة إلى حيلة تحتفظ بسلطانها في مقابل التنازل في الظاهر، فعرضت أن تتزوج معز الدين ايبك نائب السلطنة وتتنازل عن الملك في الظاهر، وتم ذلك وتنازلت «شجرة الدر» عن ظاهر السلطان بعد أن حكمت ثمانين يوماً فقط وانتقل اللقب إلى معز الدين ايبك.

وكان المعز ايبك هذا السلطان الجديد شديد الخوف على سلطانه من المماليك البحرية، وخاصة سيف الدين والبنداق دار، فدبّر مؤامرة أبعد على إثرها البحرية إلى الشام، وأدخل بعضهم في خدمة صاحب الكرك الصغرى، فظلوا يتربصون الفرصة للعودة إلى مصر والانتقام من المعز ايبك الذي أنشأ لنفسه حاشية كبيرة من المماليك عرفت بالمعزيه، وعلى الرغم من تنازل «شجرة الدر» عن السلطة، إلا إنها ضلت تراسل زعماء المماليك البحرية سراً تستعين بهم، إذ غدر بها المعز ايبك، فشعر هو بذلك وخافها على نفسه، فترك مقامه في القلعة ونزل إلى القاهرة وسكن بمناظر اللوق قرب ما يعرف اليوم بباب اللوق في القاهرة، وأراد ايبك أن يستقوي على زوجته وشريكته في السلطنة «شجرة الدر» فكتب إلى صاحب الموصل يخطب ابنته وهنا غضبت «شجرة الدر» عليه، فما زالت به حتى تمكنت من قتله بحيلة، حيث قام غلمانها بقتله.

شجرة الدر ونهايتها

ثم عرضت «شجرة الدر» السلطنة على اثنين من كبار المماليك المعزّية، فرفضوا ذلك، وقد غضب الناس على «شجرة الدر» غضباً عظيماً لمؤامراتها التي لا تنتهي ضد هذا وذاك، فاجتمع أمراء المماليك المعزّية على التخلص منها، ولكن المماليك البحرية ضلوا على ولائهم لها واتفقوا على أن تقيم في البرج الأحمر في القلعة معززة، وهنا فقدت «شجرة الدر» سلطانها، وقامت امرأة أخرى للأخذ بثأرها، وكانت تلك هي: زوجة المعز ايبك الأولى، وأم ولده علي، فقد كانت «شجرة الدر» قد منعت المعز ايبك من زيارتها بعد زواجها منه، وما زالت توبخه حتى طلقها، وكتمت المرأة غيظها حتى أمكنتها الفرصة في ذلك، فبادرت إلى المماليك البحرية وأخذت تخوفهم غدر «شجرة الدر» حتى تخلوا عنها، بل حملوها مقيدة إلى دار غنيمتها، فحبستها في غرفة مظلمة، ومنعت عنها الماء والطعام، وجعلتها في ضيق شديد.

وفي منتصف ليلة من ليالي ربيع الأول سنة ستمائة وخمس وخمسون هجرية، دخل نفر من جواري أم علي على السلطانة المعزولة، ووقعن عليها ضرباً بالقباقيب مبالغة في الإهانة والاحتقار حتى أثخنوها بالجراح إلى أن ماتت من الضرب بالقبقاب على رأسها ثم ألقينها من سور القلعة إلى خندق وبقيت جثتها في الخندق أياماً ثم دفنت في القاهرة.

وهكذا تلاعب الحكام الجهلة بالحكم، وتحكّموا بمصير المسلمين، مما سبّب للمسلمين التأخر والتقهقر، وللإسلام التشويه والتمويه.

من أهم أسباب تولد الطاغوت

ثم إن من أهم أسباب تولد الطاغوت هو: الجهل وعدم الوعي الكافي، فان من يعلم بأن الله خلق الإنسان حراً، ومنحه حرياته الأساسية، وجعله حاكماً على نفسه وماله، لا يرضخ للعبودية والظلم، ولا يعترف بالطغاة والظالمين.

ومن هنا يلزم السعي الجاد لتوعية الشعوب وذلك بنشر الفكر الإسلامي عبر الكتب والنشرات والإذاعات والانترنيت وما أشبه.

كما ان من أسبابها أيضاً، فقدان ثقافة التعددية، وشيوع ظاهرة الاستبداد والأنانية، وفكرة الاستئثار والانحصارية، مع أن من ملك استأثر، كما قال تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى ۞ أن رآه استغنى﴾[٦٩].

فالإنسان بطبيعته كثيراً ما يميل إلى الطغيان والذي يردعه عن ذلك هو الإيمان بالله واليوم الآخر، مضافاً إلى نظام التعددية السياسية حيث تمنع الطاغوت عن طغيانه ولو نسبياً، وهذا ما نفقده في بلادنا.

الطغاة وأوصافهم

للطغاة أوصاف يذكرها الباحثون، فمنها:

١: يرى نفسه المالك المطلق والمتصرف الوحيد في مقدرات الناس، كما قال القرآن الحكيم عن لسان فرعون: ﴿.. أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾[٧٠] .

٢: يرى نفسه المقدم دائماً وغيره متخلف عنه، كما قال تعالى حاكياً ما قاله فرعون: ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾ [٧١].

---

[٦٩] سورة العلق: ٦-٧.

[٧٠] سورة الزخرف: ٥١.

[٧١] سورة الزخرف: ٥٢.

٣: يحمل كثيراً من الصفات الدنيئة كالحسد والتكبر والعصبية والشك والريبة والبلادة والكذب والخوف والخيانة وعدم الوفاء.

٤: يقدم مصلحته الشخصية وملذاته الشيطانية على مصلحة الناس .

٥: يتصف بالازدواجية في الشخصية.

٦: ليس له قرار واطمئنان، بل يعيش في قلق دائم، واضطراب مستمر.

٧: لا يقبل ولا يقتنع بآراء الآخرين ولا يستشيرهم.

٨: لا يرحم حتى أصدقائه وأقربائه وأولاده.

٩: يستهين بكفاءات الآخرين، بل يسعى في القضاء عليها.

١٠: لا يخاف الله عزوجل ويستهين باليوم الآخر.

١١: يعشق القوة والجبروت.

١٢: يقضي أكثر أوقاته بالملذات النفسية حتى المحرم منها.

١٣: يسرف في مباهج الحياة.

١٤: يغدر ولا يفي بوعده.

١٥: لا يحفتظ لأحد بودّه.

١٦: لا يعول على رفقة وأصحاب.

١٧: القضاء على المعارضين بشتى الطرق اللا انسانية.

١٨: يستخدم القسوة والبطش بأشد انواعها.

١٩: يعاقب بالعقاب الشديد على المخالفة البسيطة وربما عاقب البريء لتخويف غيره.

٢٠: إنه يكافئ الإحسان بالإساءة.

٢١: يعتمد على الشعارات الفارغة.

٢٢: يتلون في الأقوال والمواقف.

٢٣: لا يرى للإنسان أي قيمة فيقتل الآلاف بلا اكتراث.

٢٤: يرى أن الهدف يبرّر الوسيلة.

٢٥: يرى أن من لم يكن معه فهو عليه.

إلى غير ذلك.

الإرهاب وتصفية المعارضة

من أشهر صفات الطغاة محاولتهم القضاء على المعارضة بمختلف الطرق الإرهابية: سجناً وتعذيباً وقتلا.

وربما استخدموا الغدر في ذلك، كما نراه في طغاة العراق.

ففي أعقاب صدور بيان آذار عام ١٩٧٠م لحل المشكلة الكردية العراقية خطط النظام الحاكم لاغتيال الملا مصطفى البرازاني الزعيم الكردي، وذلك بإرسال مجموعة من رجال الدين وشيوخ الإسلام لمقابلته، حيث كان البرزاني لا يثق برجال الدولة، وقد أهدى صدام لأعضاء الوفد وهم أكثر من عشرة علماء، ملابس دينية كاملة على أن يقدمها لهم مرافقو الوفد قبيل وصولهم الى مقر البارزاني.

وفي اليوم الثاني واذا بوكالات الأنباء قالت: ان البارزاني قد نجا من محاولة لاغتياله أثناء لقائه بأعضاء الوفد الإسلامي الذين قتلوا بالإجماع.

ثم تبين فيما بعد عن أن الملابس التي قدمت للعلماء كانت ملغومة، وقد تم تفجيرها باللاسلكي من قبل سواق السيارات التي أقلتهم، وقد تحدّث ابن البارزاني فيما بعد عن كيفية نجاة والده وقال: إن التفجير تم في اللحظة التي تقدم حامل أكواب الشاي لتسليم الكوب إلى والده، فأصبح حامل الشاي الذي تمزقت أوصاله حاجزاً بين الملا مصطفى وبين محدثيه الملغومين.

كما قتل طغاة العراق عشرات الآلاف من الشعب البريء وحتى من طاقم الدولة.

مثلاً: اعتقل وأعدم تشكيلين كاملين لطاقمين من مجلس الوزراء، وكان من بينهم اثنان من نواب رئيس الجمهورية، واثنان من رؤساء الوزارات وثلاثة وزراء خارجية، وثلاثة وزراء دفاع، ووزير للصحة، ووزير للتربية، ووزير للصناعة، ووزير للتخطيط، ووزير للتعليم العالي، وخمسة وكلاء وزارة وأمين العاصمة، ومدير الأمن العام المسؤول عن حماية أمن الدولة.

تصفية الأصدقاء والموالين

ومن صفات الطغاة أنهم يعمّون بغدرهم ليس المعارضين فقط، بل حتى الأصدقاء والموالين لهم، فقد انتهى رئيس مجلس قيادة (الثورة) في العراق والأمين القطري للحزب من

تصفية أحد عشر عضواً من أعضاء مجلس قيادة الثورة، والقيادة القطرية للحزب، وهو عدد يزيد عن عدد أعضاء الطاقم الكامل للمجلس الذي يتكون من تسعة أشخاص.

كما أعدم ثلاثة أشخاص كانوا من المحاور الرئيسية لأهم المنجزات التي يفتخر بها الجهاز الدعائي للنظام منذ خمسة عشر عاماً وهم كل من:

١. مرتضى الحديثي، الذي كان بطل التأميم أعدم في السجن ,١٩٨١

٢. محمد محجوب، بطل محو الأمية، أعدم في السجن ,١٩٧٩

٣. عدنان الحمداني، بطل مشروع التنمية، أعدم عام ١٩٧٩.

هذا بالإضافة إلى إعدام الآلاف من العلماء والكتاب والخطباء والمثقفين ومن أشبه.

وقد قام النظام الحاكم أيضاً بتهجير أكثر من مليون شخص عراقي، ولما سئل عن إمكانية عودتهم في يوم ما إلى ديارهم، قال: (لا ... هذا غير ممكن) وأضاف: (هل إذا رمى أحدكم الأوساخ في برميل القمامة في الشارع، يعود إليها ويحملها إلى البيت؟).

هكذا تكون نظرة الحكام الطغاة إلى الإنسان الذي كرمه الله تعالى وسخر له ما في السماوات والأرض، وذلك لأنهم لم يشموا ريح الإنسانية ولم يكن لهم منها نصيب.

تهجير المواطنين وتشريدهم

ومن صفات الطغاة: زرع الخوف في الناس بالقتل والتعذيب، والتهجير والتشريد، وهذا ما شاهدناه في النظام العراقي الحاكم زمن العفالقة، فقد قال مدير الشرطة العام حينذاك: (فاضل البراك) في تصريح له: إن التهجير يشمل كل من يشك ولائه للحزب والثورة، حتى لو كان يملك شهادة الجنسية العراقية من الدرجة الأولى! وقد صدر قرار بتاريخ ١٩٨٠/٥/٦ ينص على ما يلي:

(تسقط الجنسية العراقية ويبعد عن القطر كل عراقي يعادي أهداف ثورة ١٧ تموز عام ١٩٦٨).

وهؤلاء الطغاة هم المسؤولون عن ضعف المسلمين وعدم انتشار الإسلام وظهوره على كل الأديان.

مكافأة الإحسان بالإساءة

ومن صفات الطغاة الظلمة أنهم يكافئون الإحسان بالإساءة، فقد جاء في التاريخ كثير من القصص الدالة على ذلك، مثل: قصة غدر الحاكم العباسي المنصور، بأبي مسلم الخراساني الذي قضى على الأمويين وجاء بالعباسيين إلى الحكم.

ومثل قصة الحاكم العفلقي: صدام، مع الذي دلهم على الطريق، فقد نقل عن أحد زملاء صدام وكان معه حينما هرب صدام من العراق إلى سورية بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، انه قال: حينما وصلنا قرب الأراضي السورية، وكنا نحاول عبور الحدود عبر الصحراء سألنا أحد سكان قرية عراقية، وكان عمره قد تجاوز الستين عاماً، عن الطريق فتبرع الرجل وجاء معنا ليدلنا عليه، ومشى قرابة ثلاث ساعات، حتى أوصلنا إلى خارج العراق، ودلنا على الطريق، فودعناه وذهبنا عنه.

وما هي إلا خطوات، حتى أدار صدام وجهه نحو الرجل، وهو يقفل راجعاً إلى قريته، وأطلق عليه ثلاث رصاصات أصابت رأسه وظهره، فقلت له: ولم قتلته، وهو لم يقدم لنا إلا خدمة الإرشاد إلى الطريق؟.

فقال وببرودة القتلة المحترفين: لقد كان الشاهد الوحيد على هروبنا، ولابد من اختفاء كل أثر يمكن أن يدل علينا.

فقلت له: أولاً إنه لم يعرفنا.

وثانياً: انه من المستبعد أن يتعرض للتحقيق، وقريته من القرى المنسية في هذه المنطقة.

وثالثاً: إننا قد تجاوزنا الحدود.

فقاطعني قائلاً: أتريد بكلامك هذا إعادة الحياة إليه؟

ولما أطلت معه العتاب شهر مسدسه عليّ وقال: هل ترغب في أن ألحقك بصاحبك؟

نعم، قتل المحسنين، وغدر الأوفياء الذين يقدّمون خدمة إنسانية للفرد والمجتمع هو شيمة الطغاة والإرهابيين، كما ينقل عن الحجاج أيضاً: من أنه كان يغرق يوماً في نهر الكوفة، فأنقذه من الغرق مستطرق لم يعرفه، فقال له الحجاج بعد أن نجى من الموت: هل تعرفني؟

قال الرجل: لا.

قال الحجاج: أظن انك لو عرفتني لما أنقذتني من الغرق، إني أنا الحجاج، ثم قال لجلاّده: أضرب عنقه.

وكلما حاول الرجل استعطافه لم ينفع في دفع القتل عنه، حتى قتل.

الطغاة لا يرحمون حتى الأقرباء

ومن صفات الطغاة انهم لا يرحمون حتى أقرب الناس إليهم، وفي التاريخ الكثير من قصص الطغاة الذين قضوا على حياة أقربائهم لمجرّد أنهم عارضوهم، أو احتملوا معارضتهم لهم، وذلك بدءاً بطغاة بني أمية وبني العباس، وانتهاءً بطغاة عصرنا الحاضر أمثال صدام.

وفعلة صدام الشهيرة بالنسبة إلى صهره: حسين كامل، خير دليل على ذلك، فان حسين كامل عارض صدام ثم ندم ورجع عن معارضته له، وعاد إلى العراق بعد أن طمأنه صدام على أن لا يتعرض له بسوء، فاطمأن حسين كامل إلى أمان صدام ورجع إليه، لكنه فور وصوله إلى العراق، افتعل له صدام كيداً، وذلك بانتداب جماعة من الجلاوزة إلى مقارعته ومقاتلته.

وبالفعل، فان هؤلاء الجلاوزة الذين انتدبهم صدام لقتله، قصدوه إلى داره وهناك أبادوا الدار ومن فيها، وقتلوا حتى طفله الصغير، ولم يتركوا من أسرة حسين كامل أحداً يتنفس لا صغيراً ولا كبيراً، ولا أبناً ولا أباً، ولا أخاً ولا أختاً، بل اجتثّوهم جميعاً.

وهكذا يسلّط الله الظالمين بعضهم على بعض، كما في الحديث الشريف: «الظالم سيفي انتقم به وانتقم منه»، فان حسين كامل هو ذلك الطاغوت الذي أمره صدام بإخماد الانتفاضة الشعبية في كربلاء المقدسة، فجاءها بكامل أهبته وجلاوزته ووقف على روضة الإمام الحسين عليه السلام الذي قد لجأ الناس إليها، وقال: أنت حسين، وأنا حسين، فلننظر لأينا الغلب؟

ثم هاجم الروضة المباركة بالحديد والنار، وقضى على من كان قد لجأ فيها، ودمّر كل ما كان مانعاً في الروضة المباركة من تحقيق هدفه هذا من قمع الانتفاضة وقتل الثائرين، وتصور انه بهذا قد تحقق له الغلب، ولكن لم تمض على هذه الجريمة إلا وظهر لحسين كامل اشتباه تصوره، وظهر للناس أيضاً، كيف أن الغلب والخلود للإمام الحسين عليه السلام ومن يلوذ به وليس لكامل وصدام وأشباهه، وان يوم صدام لقريب إن شاء الله تعالى.

القتل والإرهاب هواية الطغاة

ومن صفات الطغاة: انهم يهوون قتل الأبرياء، ويعشقون الظلم والجور في الحكم، وعلى هذه الصفة شواهد كثيرة في تاريخ الحكام الطغاة منذ زمن الأمويين والعباسيين والعثمانيين وحتى يومنا هذا.

ومن المعلوم: إن الإسلام منهم ومن هذه الصفة براء، ففي الحديث الشريف: «لو اشترك أهل الأرض في قتل مؤمن لعذّبهم الله جميعاً»، وفي القرآن الحكيم قبل الحديث: ﴿من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾[٧٢] لكن الحكام الطغاة المتطفلين على المسلمين بما أنهم يدّعون الإسلام كذباً وزوراً، يغطي إرهابهم وظلمهم على الإسلام والمسلمين ويشوّه من سمعتهم، وفي هذا وزر عظيم عليهم، وخاصة على من هم أمثال الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي كان لا يهنأ بالأكل والشرب، إلا بعد أن يرى إنساناً مذبوحاً يتضرّج بدمه، ويتقلّب فيه، ويرفرف كالطير بين يديه، وكان لتعطشه بالدماء، وتلذّذه برؤية المقتول المتقلب في دمه، قد أوصى جلاّده بأنه يحمي صحناً فلزّياً بالنار، حتى إذا ضرب عنق ذلك الإنسان المظلوم، الصق الصحن الفلزي المحمي برقبته، وعلى أوداجه، فتلتئم، فيبقى المقتول يرفرف لمدة أطول، ويتقلب في دمه زماناً أكثر، فيديم الحجاج أكله وشربه متلذذاً به وبالمنظر الذي يتفرّج عليه، وهذه الروح روح إرهابية، وهذا النمط من الناس أناس إرهابيون، قد أعلن الله ورسوله والمؤمنون براءتهم منهم، وقى الله الأمة والناس أجمعين شرهم وخطرهم.

لا قيمة للشعوب عند الطغاة

ومن صفات الطغاة انهم لا يرون أية قيمة للشعوب. ولذلك نسمع تصريحات كثيرة لحكام كثيرين: بأنهم للاحتفاظ بعروشهم مستعدّون لإبادة الشعب كله، كما أنهم طبقوا تصريحاتهم الإرهابية على ساحة الواقع، عندما اصطدموا بالشعب أو توقف استمرار حكمهم عليه، كما اتفق ذلك لحكام العراق العفالقة.

مثلاً: في السابع عشر من مارس (آذار) ١٩٨٨، ألقت الطائرات العسكرية العراقية بأمر الطاغية صدام عشرات القنابل الكيماوية المحتوية على مادة (السيانيد) وغازات الخردل

[٧٢] سورة المائدة: ٣٢.

والأعصاب وغازات سامة أخرى، على مدينة حلبجة الواقعة شمال شرق مدينة بغداد وعلى بعد (٢٦٠) كيلومتراً منها، وكان عدد سكان حلبجه يومها ثمانين ألفاً، تقول التقارير: إن آلافاً منهم احترقت أجسادهم أو تجمدت على الفور، ولا يعرف إلى الآن كيف أثرت الإصابات الجانبية بالذين كانوا يستعدون لقضاء يوم عادي بين قطعانهم وبيوتهم ومزارعهم؟.

وما حصل في حلبجة تكرر في قرية شيخ وسانان التي تبعد ستين كيلومتراً عن جبهة الحرب العراقية - الإيرانية، ودقائق بعد القصف المركّز تحولت القرية الوادعة الى مئات من القتلى والمشوهين والمصابين بالحروق والبقع الكيماوية، ونقل المئات الى مستشفيات أربيل العسكرية، وفي اليوم التالي صدرت الأوامر بإحراق الأموات لمحو آثار الجريمة، وبعض المصادر تؤكد أنه تم إحراق بعض الأحياء أيضاً من الضحايا في مناطق عسكرية خصصت لذلك الغرض.

وأمثال هذه القصص وأشباه هذه الحوادث كثيرة جداً، ويحتاج استقصاؤها إلى مجلد ضخم، وإنما نكتفي منها بهذا القدر القليل للدلالة على سبب تقدم الغرب وتأخر المسلمين، حيث استيقظ أولئك وغفل هؤلاء، فوقع بينهما ما وقع مما نشاهده من الهوّة السحيقة، والفجوة الكبيرة، وقد أصيب المسلمون في هذا اليوم ضعفاً غريباً نسأل الله عزوجل أن يعيد على المسلمين قوتهم ومجدهم، وسيادتهم وعزهم، إن شاء الله تعالى.

الطغاة وجعل الاحاديث

ثم إن الطغاة حيث انهم يشعرون بانعزالهم عن الناس، واشمئزاز الناس عنهم وتنفرهم عنهم، وانه لا رصيد لهم في قلوب الناس، ولا شرعية لحكمهم وحكومتهم عند الشعوب، يحاولون بشتى الأساليب والطرق، إضفاء الشرعية الكاذبة على حكومتهم ليغووا بها عامة الناس، ومن جملة تلك الأساليب الماكرة، والطرق الخادعة، اشتراء الضمائر وتسخيرها في خدمتهم بجعل الأحاديث التي تعطي صبغة شرعية على ما يفعلونه من ظلم وجور.

ولذلك وضعوا روايات تقول: بأنه يجب الصبر عند جور الحاكم.

وروايات تقول: بان الخروج على الحاكم المستخف بدين الله الجائر على عباد الله حرام، مستدلين بان في الخروج تفريقاً لكلمة المسلمين.

وقد رووا: (من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصيته ولا ينزعن يدا من طاعة).

ورووا: تجب طاعة ملوك بني أمية وإن جاروا وان ظلموا .. والله لما يصلح بهم أكثر مما يفسدون.

وقال بعضهم: بأن البيعة لا تفتقر إلى الاجماع، بل تصح من الواحد والاثنين.

التنديد بالظلم والظالمين

هذا ما جاء في بعض المذاهب، ولكن في مذهب أهل البيت عليهم السلام ترى الروايات تؤكد على لزوم الإنكار على الظالم والتنديد بظلمه، وحرمة إطاعته ووجوب الخروج عليه، ونصرة المظلوم والدفاع عنه في قبال الظالم، وذلك كما أمر القرآن به حيث يقول: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[٧٣].

وحيث يقول: ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً﴾[٧٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مدح سلطاناً جائراً وتخفف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه إلى النار»[٧٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «ألا ومن علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من النار طوله سبعون ذراعاً يسلط عليه في نار جهنم وبئس المصير»[٧٦].

وقال صلى الله عليه وآله: «من دل جائراً على جور كان قرين هامان في جهنم»[٧٧].

وقال صلى الله عليه وآله: «من تولى خصومة ظالم أو أعان عليها ثم نزل به ملك الموت قال له: أبشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير»[٧٨].

وقال عليه السلام: «من أحدّ سنان الغضب لله قوي على قتل أشداء الباطل»[٧٩]

---

[٧٣] سورة هود: ١١٣.

[٧٤] سورة الكهف: ٨٧.

[٧٥] بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٦٩ ب٨٢ ح٣.

[٧٦] المصدر.

[٧٧] المصدر.

[٧٨] المصدر.

[٧٩] وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٣ ب٣ ح٢١١٦٨.

وقال عليه السلام: «العامل بالظلم والراضي به والمعين عليه شركاء ثلاثة»[٨٠].

القرآن

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن هنا ورد التأكيد الكبير على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من دون فرق بين أن يكون الطرف حاكماً أو محكوماً، فإن ذلك يقلع المنكر من ظلم وإرهاب، ويقمع أهل المنكر من الظالمين والإرهابيين، لكن المسلمين لما تركوا ذلك تسلط الطغاة وحكام الجور عليهم.

قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[٨١].

وقال سبحانه: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[٨٢].

وقال تعالى: ﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾[٨٣].

وقال سبحانه: ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾[٨٤].

وقال تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[٨٥].

وقال سبحانه: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾[٨٦].

وقال تعالى في قصة أصحاب السبت: ﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون ۞ فلما نسوا ما ذكروا به

---

[٨٠] وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٩ ب٥ ح٢١١٨٢.

[٨١] سورة آل عمران: ١٠٤.

[٨٢] سورة آل عمران: ١١٠.

[٨٣] سورة آل عمران: ١١٤.

[٨٤] سورة المائدة: ٦٣.

[٨٥] سورة المائدة: ٧٩.

[٨٦] سورة الأعراف: ١٥٧.

أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾[٨٧].

وقال سبحانه: ﴿وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[٨٨].

وقال تعالى: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾[٨٩].

وقال عزوجل: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٩٠].

وقال سبحانه: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾[٩١].

وقال تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى ۞ فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى ۞ قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى۞ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾[٩٢].

وقال سبحانه: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾[٩٣].

وقال عزوجل: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾[٩٤].

وقال تعالى: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[٩٥].

وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾[٩٦].

---

[٨٧] سورة الأعراف: ١٦٤-١٦٥.

[٨٨] سورة الأعراف: ١٩٩.

[٨٩] سورة التوبة: ٦٧.

[٩٠] سورة التوبة: ٧١.

[٩١] سورة هود: ١١٦.

[٩٢] سورة طه: ٤٣-٤٦.

[٩٣] سورة طه: ١٣٢.

[٩٤] سورة الحج: ٤١.

[٩٥] سورة لقمان: ١٧.

[٩٦] سورة التحريم: ٦.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات

عن أبي الحسن عليه السلام قال: «لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[٩٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليفتحن الله عليكم فتنة تترك العاقل منكم حيران ثم ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم ثم من وراء ذلك عذاب أليم»[٩٨].

وعن أبي سعيد الزهري عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٩٩].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «بئس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٠٠].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أدنى الإنكار أن تلقي أهل المعاصي بوجوه مكفهرة»[١٠١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلهما خذله الله»[١٠٢].

وعن محمد بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلتأذن بوقاع من الله تعالى»[١٠٣].

النبي صلى الله عليه وآله يرشدنا لمجابهة الظالمين

عن أبي عبد الله عليه السلام : «أن رجلا من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله

---

[٩٧] تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٧٦ ب٨٠ ح١.

[٩٨] تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٨٦.

[٩٩] الكافي: ج٥ ص٥٦ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح٤.

[١٠٠] وسائل الشيعة: ج١٦ ص١١٧ ب١ ح٢١١٢٨.

[١٠١] غوالي اللآلي: ج٣ ص١٩٠ باب الجهاد ح٢٩.

[١٠٢] مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٨١ ب١ ح١٣٨٢٣.

[١٠٣] بحار الأنوار: ج٩٧ ص٩٢ ب١ ح٨٤.

أخبرني ما أفضل الإسلام؟

قال: الإيمان بالله.

قال: ثم ما ذا؟

قال: صلة الرحم؟

قال: ثم ما ذا؟

قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: فقال الرجل: فأي الأعمال أبغض إلى الله عز وجل؟

قال: الشرك بالله.

قال: ثم ما ذا؟

قال: قطيعة الرحم.

قال: ثم ما ذا؟

قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»[١٠٤].

من علائم الجاهلية الثانية

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟

فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟

فقال: نعم، وشر من ذلك، فكيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟

فقيل له: يا رسول الله! ويكون ذلك؟

فقال: نعم، وشر من ذلك، فكيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[١٠٥].

كيف نقي مجتمعاتنا من النار؟

---

[١٠٤] تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٧٦ ب٨٠ ح٤.

[١٠٥] مشكاة الأنوار: ص٤٩ الفصل١٣ في الأمر بالمعروف.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾[١٠٦] جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا قد عجزت عن نفسي كلفت أهلي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك»[١٠٧].

وعن أبي بصير في قول الله عز وجل: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ قلت: كيف أقيهم؟

قال: «تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهاهم الله، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك»[١٠٨].

أهل البيت عليهم السلام يأمرون بالتصدي للطغاة

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراءون يتقرءون ويتنسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وفساد علمهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولا مال، ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أتم الفرائض وأشرفها.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجار، والصغار في دار الكبار.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر.

فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم..

---

[١٠٦] سورة التحريم: ٦.

[١٠٧] مكارم الأخلاق: ص٢١٧ في حق المرأة على الزوج.

[١٠٨] الكافي: ج٥ ص٦٢ ح٢.

﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾[١٠٩]، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم، وأبغضوهم بقلوبكم، غير طالبين سلطاناً، ولا باغين مالا، ولا مريدين بالظلم ظفراً، حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته»[١١٠].

عواقب المداهنة مع الظالمين

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها فلما انتهيا إلى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع إليه، فقال أحدهما للآخر: أما ترى هذا الداعي.

فقال: قد رأيته ولكن أمضي لما أمرني به ربي.

فقال: ولكني لا أحدث شيئا حتى أرجع إلى ربي، فعاد إلى الله تبارك وتعالى فقال: يا رب إني انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع إليك.

فقال: امض لما أمرتك فإن ذلك رجل لم يتغير وجهه غضبا لي قط[١١١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام : إني لمعذب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزوجل إليه: إنهم داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»[١١٢].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر والتقوى فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت عنهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[١١٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الأحياء»[١١٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

---

[١٠٩] سورة الشورى: ٤٢.

[١١٠] تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨٠-١٨١ ب٨٠ ح٢١.

[١١١] الزهد: ص٦٤-٦٥ ب١١ ح١٧١.

[١١٢] تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨١ ب٨٠ ح٢١.

[١١٣] بحار الأنوار: ج٩٧ ص٩٤ ب١ ح٩٥.

[١١٤] غوالي اللآلي: ج٣ ص١٨٨ باب الجهاد ح٢٤.

يفعلون﴾[١١٥]. قال: «أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وآنسوا بهم»[١١٦].

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولقد أوحى الله فيما مضى قبلكم إلى جبرئيل فأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار.

فقال جبرئيل: يا رب اخسف بهم إلا بفلان الزاهد؟ ليعرف ماذا يأمر الله به.

فقال الله عزوجل: بل اخسف بهم وبفلان قبلهم.

فسأل ربه فقال: رب عرفني لم ذلك وهو زاهد عابد؟

قال: مكنت له وأقدرته فهو لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وكان يتوفر على حبهم وفي غضبي لهم.

فقالوا يا رسول الله وكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليعمكم عقاب الله.

ثم قال صلى الله عليه وآله: من رأى منكم منكرا فلينكره بيده إن استطاع فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»[١١٧].

واجب العلماء تجاه الطغاة

عن ابن محمد عن الحارث بن المغيرة قال: لقيني أبو عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة ليلا فقال لي : «يا حارث».

فقلت: نعم.

فقال: «أما ليحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم»، ثم مضى.

قال: ثم أتيته فاستأذنت عليه فقلت: جعلت فداك لم قلت ليحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم فقد دخلني من ذلك أمر عظيم؟

فقال لي: «نعم، ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهونه مما يدخل به علينا الأذى والعيب عند الناس أن تأتوه فتؤنبوه وتعظوه وتقولوا له قولا بليغا».

---

[١١٥] سورة المائدة: ٧٩.

[١١٦] تفسير العياشي: ج١ ص٣٣٥ من سورة المائدة ح١٦١.

[١١٧] تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٤٨٠ في ذم ترك الأمر بالمعروف ح٣٠٧.

فقلت له: إذا لا يقبل منا ولا يطيعنا؟

قال: فقال: «فإذاً فاهجروه عند ذلك واجتنبوا مجالسته»[١١٨].

مجاري الأمور بيد العلماء

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم﴾[١١٩] وقال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ۞ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[١٢٠]، وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة مما يحذرون، والله يقول: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾[١٢١] وقال: ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[١٢٢] فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيّنها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع رد المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها.

ثم أنتم أيتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون في الطريق بهيبة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيعتم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالا بذلتموه، ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها

---

[١١٨] بحار الأنوار: ج٩٧ ص٨٥ ب١ ح٥٨.

[١١٩] سورة المائدة: ٦٣.

[١٢٠] سورة المائدة: ٧٨-٧٩.

[١٢١] سورة المائدة: ٤٤.

[١٢٢] سورة التوبة: ٧١.

في ذات الله.

أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته، لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرمون، وأنتم بالله في عباده تكرمون وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله ﷺ محقورة والعمي والبكم والزمنى في المدائن مهملة لاترحمون، ولا في منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون.

وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء، لو كنتم تشعرون ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا بتفرقكم عن الحق، واختلافكم في السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المئونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع.

ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، واستسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مقهور، وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلبون في الملك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداء بالأشرار، وجرأة على الجبار، في كل بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول، لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد، وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجبا وما لي لا أعجب والأرض من غاش غشوم، ومتصدق ظلوم، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقائل بحكمه فيما شجر بيننا، اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسا في سلطان، ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه

توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير»[١٢٣].

المعروف والمنكر: خليفتان

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المعروف والمنكر خليفتان ينصبان للناس، فيقول المنكر لأهله: إليكم إليكم، ويقول المعروف لأهله: عليكم عليكم، وما يستطيعون له إلا لزوما»[١٢٤].

وعن أحدهما عليهما السلام أنه قال: «لا دين لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١٢٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلا أما تسمع الله تعالى يقول: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[١٢٦] فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلا، قال: إن المؤمن أعز من الجبل لأن الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء»[١٢٧].

وعن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه»[١٢٨].

وعن مفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قلت: بما يذل نفسه؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه»[١٢٩].

ومن المعلوم: أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى تسلّط الظالمين على الناس، وتحكم الإرهابيين في رقابهم، وهو بالنتيجة إذلال لهم وخاصة المؤمنين منهم، فعلى المؤمن أن لا يذل نفسه، ولا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نسأل الله عزوجل أن يعيد إلى المسلمين مجدهم وينتشلهم من ضعفهم، ويأخذ بأيدينا

---

[١٢٣] تحف العقول: ص٢٣٧ من كلام الإمام الحسين عليه السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[١٢٤] بحار الأنوار: ج٩٧ ص٧٠ ب١ ح١.

[١٢٥] بحار الأنوار: ج٩٧ ص٨٦ ب١ ح٥٩.

[١٢٦] سورة المنافقون: ٨.

[١٢٧] تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٧٩ ب٨٠ ح١٦.

[١٢٨] وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٥٨ ب١٣ ح٢١٢٣٦.

[١٢٩] الكافي: ج٥ ص٦٤ باب كراهة التعرض لما لا يطيق ح٥.

جميعاً ويوفقنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعلنا من المؤمنين المرضيين عنده، انه سميع مجيب.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

الفهرس

كلمة الناشر ٥

المقدمة ١١

الحكام الطغاة وراء ضعف المسلمين ١٧

تقدم الأمة وتأخرها ١٩

إسلام عبد الله بن جحش ٢٠

الخديعة والمكر عند بني أمية ٢٦

تصريح هام لمعاوية ٢٨

لا شرعية لحكومة الظالمين ٣٠

معاوية وأعماله الإرهابية ٣٣

محرقة ابن ارطاة في المدينة ٣٦

مكة ومجزرة ابن ارطاة ٣٩

مذبحة ابن ارطاة للأطفال..... ٤١
ابن ارطاة عند معاوية ٤٥
معاوية والإرهابي ابن عوف الغامدي ٤٧
أهل البيت ﷺ وسياسة اللاعنف ٤٩
موقف أمير المؤمنين عليه السلام من إرهاب معاوية ٥١
يزيد العنف والإرهاب..... ٥٥
تعاليم إرهابية من يزيد ٥٧
يزيد يقمع معارضيه ٥٨
الإمام الحسين عليه السلام رمز الحرية والإباء ٥٩
معاوية من منظار ابن أبي الحديد..... ٦٠
آل مروان وإرهابهم..... ٦٣
الحجاج: الإرهابي الآخر ٦٤
إرهاب الحاكم المرواني: عبد الملك ٦٨
الملك عقيم: تصريح لعبد الملك ٧٠
اعتراف عبد الملك بشرب الطلاء والدماء ٧١
عبد الملك يوصي ابنه بالإرهاب ٧٢
من إرهاب الوليد بن عبد الملك ٧٣
مع قتيبة الفاتح..... ٧٦
سليمان يأمر بإحراق المرضى ٨٣
جاء دور يزيد بن عبد الملك..... ٨٤

من ولاة يزيد الإرهابيين ٨٧
هشام بن عبد الملك ومصادرة الحريات ٨٨
مع مجون الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٩١
مع الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ٩٣
خروج الحسنيين ضد الطغاة ٩٥
رابع الحكام الأمويين في الأندلس ٩٦
مراسلة طاغوتين: أموي وعباسي ٩٨
من وصايا الطغاة: الإرهاب ٩٩
مع الهادي العباسي ٦٢
التنافس على الحكم ٦٣
سلاطين آل عثمان ٦٥
المستبدون خائفون ٦٦
القانوني وملكات الجمال ٦٨
مصر ونهاية بني أيوب ٦٩
حكومة شجرة الدر ٧٠
من أهم أسباب تولد الطاغوت ٧٢
الطغاة وأوصافهم ٧٢
الإرهاب وتصفية المعارضة ٧٤
تصفية الأصدقاء والموالين ٧٤
تهجير المواطنين وتشريدهم ٧٥

مكافأة الإحسان بالإساءة..... ٧٥
الطغاة لا يرحمون حتى الأقرباء..... ٧٧
القتل والإرهاب هواية الطغاة ٧٧
لا قيمة للشعوب عند الطغاة ٧٨
الطغاة وجعل الاحاديث..... ٧٩
التنديد بالظلم والظالمين..... ٨٠
القرآن وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨١
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الروايات..... ٨٣
النبي ﷺ يرشدنا لمجابهة الظالمين ٨٣
أهل البيت ﷺ يأمرون بالتصدي للطغاة ٨٥
عواقب المداهنة مع الظالمين ٨٦
واجب العلماء تجاه الطغاة..... ٨٧
الفهرس..... ٩١